الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جـــامعـــة عبد الحميد بن باديس –مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية والنقدية

تخصص:أدب قديم

الموضوع:

رثاء القيروان وأساليبه دراسة موازنة بين ابن رشيق وابن شرف.

إعداد الطالب:
قوعيش أحمد شريف.

إشراف الأستاذة الدكتورة:
فيدوح ياسمينة

السنة الجامعية:2019/2018

إهداء

أحمد الله عز وجل على منة دعوته لإتمام هذا البحث

إلى أغلى إنسانة في الحياة التي جملتني في بطنها تسعة أشهر وصبرت على تربيتي وتعليمي إلى نبع الحنان التي قدمت كل ما لديها من تضحيات من أجل رعايتي إلى التي أهدتني ابتسامتها ودعواها إلى أمي أعز ما املك في القلب والعين جزاها الله خيرا وأطال الله في عمرها .

إلى مدرسي الأول في الحياة الذي وهبني كل ما يملك من قوة وعزيمة نحو طريق النصر والتفوق إلى الذي سهر على تعليمي وتربيتي أحسن تربية،أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى الأستاذة الكريمة الدكتورة فيدوح ياسمينة التي وقفت إلى جانبي بفضل نصائحها وتعليماتها النبيلة التي انارت لي الطريق نحو الأفضل.

إلى جميع الأصدقاء وكل من وقفوا بحوزتي وساعدوني بكل ما يملكون وفي أصعدة كثيرة.

أهدي لكم بحث تخرجي داعيا المولى عز وجل أن يطيل في أعماركم ويرزقكم بالخيرات.

كلمة شكر وتقدير

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا ا لأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهود كبيرة في بناء جيل الغد لبعث الأمة من جديد....

وقبل أن نمضي تقدم أسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير و المحبة

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة.....

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة.....

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل اللغة و الأدب.

"كن عالما ’فإن لم تستطع فكن متعلما ’فإن لم تستطع فأحب العلماء’فإن لم تستطع فلا تبغضهم".

و أخص بالتقدير و الشكر:

الأستاذة:فيدوح ياسمينة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه الكريم أشرف خلق الله محمد الأمين وشفيعنا يوم القيامة وقائدنا إلى الزلفى أجمعين ،صلوات الله عليه وأفضل التسليم صاحب الأذكار جامع الأمطار هازم الأحبار بعون الجبار أما بعد:

إن الحديث عن الأدب و عن الحياة الثقافية في بلاد العرب ليس بالأمر الهين'لا لأنه أصل فيه و لا منبع له فالأدب المغاربي جزء لا يتجزأ عن الأدب العربي 'فهو بالتالي يمتاز بمميزات و خصائص و لو بشيء قليل 'تميزه عن الآداب الأخرى عامة و عن الأدب العربي خاصة . وانطلاقا من هذا يمكن طرح الإشكالية الآتية:

* ما علاقة مدينة القيروان بالشاعرين؟

* ما هي الأدوات الفنية والجمالية المشتركة بين الشاعرين؟

*وهل حملت هذه الأدوات رثاء مدينة القيروان؟

و هذا ما دفعني إلى اختيار موضوع بحثي الذي عنونته بـــــــــــــ:" **رثاء القيروان وأساليبه دراسة موازنة بين ابن رشيق وابن شرف"** وجعلته في خطة تتألف من مدخل وفصلين:

1-المدخل: المعنون ب**"مفاهيم عامة"**تناولت فيه مفهوم فن الرثاء ورثاء مدينة القيروان.

2-الفصل الأول**:"تجليات الرثاء في قصائد ابن شرف وابن رشيق**:تناولت فيه أهم القضايا ومنها الحزن،الغربة والفقد،والموت،بالإضافة إلى الموزانة بين الشاعرين.

3-الفصل الثاني:المعنون بـ:**"دراسة قصيدتي ابن رشيق وابن شرف"**تناولت فيه اللغة الشعرية في القصيدتين ،الموسيقى الداخلية والخارجية،وأسلوب الذي اعتمده الشاعران،أوجه التشابه والاختلاف بين القصيدتين.

ثم أنهيت البحث بخاتمة تلخص أهم النتائج المتوصل إليها.

و إذا كان لكل بحث دواعي و أسباب تقتضي الشرح و التعليل ’فإن دواعي بحثي هذا ليست غريبة و لا بالأمر العجيب’فإن المكتبات العربية تفتقد إلى ما هو ثمين فهي بحاجة إلى هذه الدراسات.

أما المنهج الذي اتبعته منهج تاريخي و تحليلي الذي يدرس النصوص الأدبية دراسة تحليلية حرصت أن تكون أحكامي في هذه الدراسة موضوعية مدعمة بالأدلة و الحجج و الأراء’أما بالنسبة لأهم المصادر الذي اعتمدت عليها منها:

*النقد الأدبي القديم في المغرب محمد مرتاض.

*دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر لقادة دقاق. .

*دراسات في أدب المغرب العربي سعيد بوقلاقة.

و في الأخير أتقدم بكلمة شكر إلى الأستاذة " فيدوح ياسمين"التي تتبعت خطوات إنجاز هذا العمل بنصائحها و إرشاداتها القيمة.

مدخل

1-فن الرثاء :

جاء في لسان العرب لابن منظور:ورثى فلان يرثيه رثيا ومرثيه إذا بكاه بعد موته،.قال فإذا مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثية .ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاه ومرثية ورثيته:مدحته بعد الموت وبكيته،ورثوت الميت أيضا إذا بكيته ورثاية:كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكرم عندها،تتوح نياحة ،ورثيت له،رحمته رحتمه "[1]

"الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين فلم يذهب بعيدا في مفهومه للرثاء عم مفهوم ابن منظور،فتكلم عن المترثي ،كونه محور الرثاء فهو الذي يتوجع ويفجع فقال:"ولا يرثي فلان لفلان ،أي لا يتوجع إذا وقع في مكروه...والمترثي المتوجع المفجوع"ا إليها المرثي لإيصال مدى حزنه وتفجعه ،فيكون ذلك بقصيدة أو كلمة ،كما قاموا بوصف المرأة وهي في حالة [2]الرثاء،تحدثوا عم حكم الرثاء في الحديث الشريف فقالوا:"رثى الميت ورثيا ،ورثاية ،ومرثية بكاه بعد موته وعدد محاسنه،ويقال رثاه بقصيدة ...".

أما في المعجم الوسيط فتطق أصحابه في تعريفهم للرثاء،إلى الوسيلة أ و الأداة التي يلج

تعددت المفاهيم في المعاجم لعربية منها:أن الرثاء هو البكاء على الميت من بعد موته ،ما يرثى به الميت من شعر في القصيدة أو كلمة،وإن وصل الرثاء إلى حد الندب على الميت،فقد تم النهي عنه في الحديث.[3]

2-اصطلاحا:

الرثاء من الفنون الشعرية التي لها وزن وقيمة في الشعر العربي ،وهذا بما يحمل من صدق وعاطفة ،وعمق إحساس بالآخر ،الذي رحل عن الدنيا وابتعد ،فالرثاء هو تصور حقيقي

[1]ابن منظور الإفريقي"لسان العرب"مج3،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1،1997،مادة- رث أ-ص35.
[2]ابن أحمد الفراهيدي"معجم العين"ج2،تح:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 2003،مادة-ر ث ي-ص97.
[3]مجموعة من الباحثين"معجم الوسيط"مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط4،2004ص329.

يربط بين ثنائية الموت والحياة ،والانتقال من عمق الفاجعة والأسى إلى الصبر ومواصلة الحياة،ولعل كل شاعر فقد عزيزا على قلبه،رثاه بإحدى قصائده ،يقول الجاحظ[1]

أن الرثاء يدل على وفاء الشاعر لمن رحل عن الدنيا،فهو بهذا يعلم مكارم الأخلاق لإضافة إلى ما يذكر من محاسن الراحل ،ويكون بهذا أبعد أثر بسبب صدق العاطفة".

ولقد ارتبط الرثاء كما جاء في التعريف اللغوي بالبكاء والندب والنواح،وصفات عدة كما نلمس في صاحبه رقة عاطفة و رهف إحساس ،وهذه الملامح نجدها بكثرة عند المرأة أكثر من الرجل،لأنه يمتاز بالصبر والجلد.[2]

ويميل الحصري إلى الرثاء الممزوج بالمدح "حيث يرى أنأحسن المراثي ليست تلك التي تتعلق بالمرثي وإنما تلك التي يشوبها مدح لصفاته ،وحديث عن أمجاده واستعراض لشيمه وخصاله و يرى أن شعر الخنساء في رثاء أخيها صخرا خير ما يمثل نظريتهابراهيم سعدي:"العديد من الشعراء كبيرهم وصغيرهم طرق هذا الباب،هذا اللون الحزين من شعر المواساة والكآبة،ولم يقتصر هذا الغرض....على الرجال فقط بل تعداهم إلى النساء أيضا،وربما كانت النساء أحق به،لما فطرن عليه من رفق ولين

ولما كانت أغراض الشعر كثيرة ،وفنونه متنوعة ،ذكر أبو هلال العسكري في كتاله الصناعتين :"تركت المراثي والفخر ،لأنهما داخلان في المديح،وذلك أن الفخر مدحك نفسكوالمرثية مديح الميت"[3]

*رثاء المدن:

من الواضح أن المدينة بالنسبة إلى الشاعر تمثل "المكان الأصل الذي يمثل عادة مسقط رأس المؤلف أو محل إقامته وعائلته،وكذلك تعتبر المكان الأليف ،ونعني به كل مكان

[1] عيسى ابراهيم السعدي"نظرية أبي عثمان بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي"دار المعتز،عمان،الأردن،ط1، 2006،ص230.

[2] حسن بن سهل العسكري"الصناعتين"تح:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم،منشورات المكتبة العصرية،بيروت،د.ط،ص131.

[3] المصدر نفسه،ص30.

يثير الإحساس بالألفة ،وكل مكان عشنا فيه وشعرنا فيه بالدفئ بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا"[1]

ومع ضياع هذا المكان أو حدوث طارئ ما نجد الشاعر في هذا الأمر يلجأ إلى مشاعره ليطرح ما فيها من تعابير صادقة لأن"الإحساس بفقد المكان إحساس عميق،ينبثق من صميم وجدان المرء وعواطفه ،وكيف لا يشحن الذهن مثل هذا الموضوع بالغربة؟ بل:كيف لا يستولي المكان على الاهتمامات الإنسان الكثر؟فإذا ما فقده فقد تلك الاهتمامات جميعا"[2]

نجد عند المشارقة فقد جبل العربي على حب الأرض منذ وجد عليها ،فتغنى بجمالها وطبيعتها الجميلة وملاعب شبابه ومواطن ذكرياته إلا أن هذا الحب والإعجاب يتحولان إلى بكاء ونواح في حالة الفقد،لقد رأينا مدن في المشرق تتساقط أوراق الشجر تستوجب الرثاء والبكاء ،كما سقطت بغداد في أيدي التتار وأزالوا كل ما فيها من مظاهر المدينة والحضارة وغزا هولاكو و تيمور لنك" و نحوهما بلاد الشام وأسقطوهم بلدا بلدا ،فكانت بغداد أول مدينة تعرضت للتدمير والحريق في صدر الدولة العباسية

إن المعتدي لا تكون المدينة محط أنظاره ،إلا إذا كانت متحضرة قوية ،وفيها من المطامع ما يملأ عينيه ،فيتحين اللحظة المناسبة ،وينقض عليها وتصبح فلريسة سهلة للصيد ،وهذا ما حدث مع بغداد وغيرها من المدن المشرقية

و على الرغم من أن البكاء بمعنى بكاء المدن في الشعر عرفه شعراء المشرق إلا أهم لم يبلغوا به شأن المغاربة والأندلسيين ،الذين كانوا فيه أكثر روعة ،ولعل ذلك يعود لكون خراب المدن وزوال الدول تباعا ،إنما وقع بكثرة في المغرب العربي "[3]

[1]محمد عويدي الطربوكي"المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي"دار رضوان،عمان،الأردن،ط1،2012،ص14

[2]المرجع نفسه،ص15

[3]سعيد بوقلالة "دراسات في أدب المغرب العربي،منشورات بونا ،الجزائر،ط1،2007،ص116.

نلاحظ أن المدينة في العصر الجاهلي تكاد تغيب ،وسببه أن العربي كان بدويا يعيش ترحالا دائما ،فلا مكان محدد يمكث فيه إلا وانتقل منه إلى آخر باحثا عن مأكله وما يحقق له العيش.[1]

فمع مجيئ الإسلام ونزول القرآن ،حدث تغير وتحول في مفاهيم الجاهلية ، لأن الإسلام بالنسبة للجاهلي ثورة على كل المفاهيم فتكونت الحواضر وتأسست المدن وأرسيت مقاليد الحكم، أما في العصر العباسي ومع بلوغ المدينة أوج مراتبها ،ومانتج عن ذلك من طغيان عمراني وتكدس للأحياء ،وكثافة بشرية ،واختلاف في المشارب والاتجاهات ووجهات النظر،وفقدان لتماسك الصلات،وتزعزع القيم، مون ثم تيهان الذات وشعورها بالقهر والمحاضرة والانسحاق ،فقد تراوحت هذه الردود بين الرفض التام،لما هو قائم والسخرية منه والتعالي عنه،وأحيانا الانعزال والانفصال ،لقد تجلت حساسية المدينة وقوة التعبير عنها على أشدها في هذا العصر وأمثلت في رفضها للقديم ولكن لكل منها سلوكه الخاص به في هذا الرفض.[2]

عرف فن رثاء المدن في أول ظهور له كمصطلح عند الغرب ،وكان إلى أن وصل إلى المشارقة ،حيث تطرقوا في أشعارهم ،واصفين ما حل بمدنهم ،غير أن الملفت للانتباه أن فم رثاء المدن لقي رواجا وانتشارا في الأدب المغربي،وهذا بسبب توالي الفواجع التي أصابت مدن شعرائها.

يمكن القول أن المدينة في العصر الجاهلي تكاد تغيب ،وسببه أن العربي كن بدويا يعيش ترحالا دائما ،فلا مكان محدد يمكث فيه إلا وانتقل منه إلى آخر باحثا عن مأكله وما يحقق له العيش ،وعليه هم الشاعر الذي يشغله مرتبط بالمكان،ثم بالأرض العامرة المرتبطة بالمرأة

[1] قادة دقاق"دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر"منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق،د.ط 2001،ص21

[2] المرجع نفسه'ص24.

المعطاءة،وعليه "لم يكن الشاعر الجاهلي يبكي حضور المدينة بقدر ما كان يبكي غيالهت....يبكي أطلالها الدارسو وخلوها من أهلها"[1]

ومع مجيئ الإسلام ونزول القرآن ،حدث تغير وتحول في المفاهيم المفاهيم اجاهلية ،لإن الإسلام بالنسبة للجاهلي ثورة على كل المفاهيم "لزاما علينا أن نبدأ بالقرآن الكريم...فكان تنويرا لبنى العرب الفكرية ...فتكونت الحواضر وتأسست المن وأرسيت مقاليد الحكم".

أما بالنسبة لموقف الخوارج من المدينة كونها "المدينة الزائفة "فقد رفضوا المدن رفضا قاطعا ،زاعمين أنها لا توافق طباعهم ولا تنسجم مع نفوسهم الزاهدة في ملذات الدنيا التي توفرها المدينة ،الرافضة لتسلط الحكام وطغيانهم ،ولقد كان رفضا مبنيا على اعتبارات أخلاقية دينية ،وأسس نفسية ومعطيات سياسية ،ولم يقبلوا الضيم فاعتزلوا ،ولم يرضوا الفساد فحاربوا ....حيث تغيرت عقيدة العرب وأفكارهم وخرجوا من قواقعهم المتناهية :البوادي والقرى وانفتحوا على عوالم لا متناهية ،حاملين دينهم الجديد بحيث كان الإسلام ،قد وحد صفوفهم ووسع الولاء ووضع له مقاييسه المعروفة وأرسى دعائم الدولة المدينة".[2]

أما في العصر العباسي ومع بلوغ المدينة أوج مراتبها ،وما عن نتج عن ذلك من طغيان عمراني وتكدس للأحياء ،وكثافة بشرية ،واختلاف في المشارف والاتجاهات ووجهات النظر ،وفقدان لتماسك الصلات ،وتزعزع القيم ،ومن ثم يتيهان الذات وشعورها بالقهر والمحاصرة والانسحاق ،فقد تراوحت هذه الردود بين الرفض التام،لما هو قائم والسخرية منه والتعالي عنه،وأحيانا الانعزال والانفصال ،لقد تجلت حساسية المدينة وقوة التعبير عنها على أشدها في هذا العصر وأمثلت في رفضها للقديم ولكن لكل منها سلوكه الخاص به في هذا الرفض.

<u>*رثاء مدينة القيروان:</u>

[1] عمر بن قنينة"أدب المغرب العربي قديما"ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر،د.ط،1994،ص 58.

[2] الطاهر أحمد مكي"دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة"دار المعارف،القاهرة،د.ط،1987، ص226.

في عهد "عثمان بن عفان"بدأ "عبد الله بن سعد بن أبي سرح"والي مصر توجيه أنظاره اتجاها إفريقيا حيث وجه جيشنا بقيادة"عقبة بن نافع"ففتح تونس ،وبجاية ،وقسطنطينية سنة 27ه.[1]

و في سنة 55ه عين "معاوية ابن أبي سفيان"مسلمة ابن مخلد واليا عنها بعدما عزل معاوية بن حديج عن افريقيا ،واستعمل عليها "عقبة بن نافع الفهري"وكان مقيما ببرقة ،وله في تلك ابلاد جهاد وفتوح ،فلما استعمله معاوية سيلا إليه عشرة آلاف فارس ،فدخل إفريقيا ،ويضاف إليه من أسلم من البربر ،فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد ،لإنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوه وأظهر بعضهم الإسلام ،فإذا عاد الأمير نكثوا وارتد من أسلم من أهل البلاد ،فقصد موضع القيروان ،فرآه قبيل كثير من البربر ،فأسلموا وقطع الأشجار ،وأمر عقبة ببناء مدينة ،وبنى المسجد الجامع وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ،وأمنوا واطمئنوا على المقام فثبت الإسلام فيها.[2]

ثم صرف "عقبة"وأعيد ثانية في سنة اثنين وستين للهجرة ،فقتله البربر ومن معه بمقبرة من "تهودة"في سنة 63ه ،وقبره يتبرك به إلى اليوم.

غير أن القيروان بقيت مركزا ثقافيا متميزا ،لما لها من تاريخ سياسي بارز ،ولموقعها أيضا ،بوصفها همزة وصل بين أقطار المشرق العربي ومغربه ،لذا بيت ذات وزن ثقافي وجاذبية خاصة في استقطاب الأدباء والعلماء.[3]

كانت القيروان قبل نكبتها سنة تسع وأربعين وأربعمائة للهجرة ،في أوج عظمتها وقمة حضارتها ،تزخر بالعديد من العلماء والأدباء الكبار ،أمثال محمد بن جعفر المعروف ب "القاز وابراهيم الحصري صاحب زهر الآداب وأبو الحسن الحصري وغيرهم ،كا كانت بلاد المعز

[1] عبد العزيز نبوي"محاضرات في الشعر المغربي القديم"ص19
[2] ينظر المرجع نفسه،ص20
[3] عبد العزيز نبوي"محاضرات في الشعر المغربي..."ص21

ترفل بالأدباء والعلماء ، وكان من بينهم ابن رشيق وابن شرف اللذان حازا إعجاب المعز بن باديس وحظيا بعناية واهتمام ،وكلاهما بكى مدينة القيروان ،حينما اقتحما عرب صعيد مصر.[1]

وهذا بالضبط بعد منتصف قرن من أحداث قرطبة ،الذين عرفوا باسم الهلالية

الهلالية بعد حصار لها دام أربع سنوات،وصنعوا ما صنع جند الطاهر بن الحسين بمدينة بغداد أو البربر القرطبية.[2]

لقد لقيت القيروان ما لقيته نظرائها من المدن السابقة لها من دمار وخراب ،وكذلك الدول المزامنة لها في أمصار الأرض العربية ،فكان لا بد من شعرائنا أن يخلدوها في صلئدهم كحادثة تاريخية ،كما قام بذلك سابقوهم وما قالوه عن مدائنهم ،من قصائد في رثاء المدن ورثاء القيروان بخاصة.

[1] سعيد بوقلالة"دراسات في أدب المغرب العربي"ص106

[2] الطاهر أحمد مكي"دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة"ص220.

الفصل الأول:

"تجليات الرثاء في قصائد ابن شرف وابن رشيق"

*الحزن.

*الغربة والشوق.

*الفقد.

*الموت.

تمهيد:

يحمل مصطلح رثاء المدن ثنائية الموت والحياة،فالرثاء يرتبط بالموت،أما عند التلفظ بالمدينة،فإن تصور السامع لها مباشرة هو الحياة بمختلف عمرانها ومنتزهاتها وغيرها من المظاهر الحياتية،وبما أن الرثاء يتصل بالمدينة فهذا يدل على خطر الموت الذي يضرب المدينة ،وبذلك يكون موت المدينة نسبي يتأرجح وقوعه بين الموت والاموت،لإن قصائد الشاعر الرثائية تنطلق من فلسفة فكرية عميقة تحمل في جوهرها خطابا جامحا ،يستند إلى فتات الحاضر وركام الماضي ،وذلك بتوظيفه لمخزون وجداني خصب جاء نتيجة لمعاناة حياتية وانكسارات نفسية متتالية [1]،إذ يؤسس الشاعر في خطابه النصي إلى ما يسمى بروحانية الخطاب التي تجعله غائبا في أرض الواقع حاضرا في الذاكرة والوجدان ،يحاول الخروج من بوتقته ،لينبعث من جديد برؤى فكرية خصبة تعوض حالة الهزيمة القائمة ،وتجعل فعل الفقد مبعث سمو وحياة جديدة"وقد يحصل خلاف ذلك فيعبر الشاعر في قصائد الرثائية عن اللا حياة

ورثاء المدينة أو الوطن يكادان أن يكونا شيئا واحدا "فمنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن...سواء الوطن القبيلة أو الحي أو الشعب أو الأمة الكبيرة وسواء أكان مسقط الرأس أم لم يكن ،فالحنين إلى الوطن انتماء وولاء وحب "[2]

[1] عمار الضمور"كتاب المراثي دراسة نقدية لقصائد الشاعر"ص50

[2] يحي الجبوري"الحنين والغربة في الشعر العربي"دار المجدلاوي،إربد،الأردن،ط1،2008،ص10.

1-تجلي الرثاء في قصيدتي ابن رشيق وابن شرف في رثائهما للقيروان

تعد ملحمة عشقهما وتفجعهما ،إذ أودع كل منهما قصيدته ما تردد بين جوانحه من انفاس الحسرة والأسى على ما أصاب كعبته على أيدي الهلاليين ،إذ لا يملك المرء وهو يطالعها إلا أن يقطع الزمان والمكان ليعيش مع الشاعر آلامه وحزنه وأساه على فردوسه المفقود و جنة حبه الضائعة "القيروان"إنهما عملان فنيان متماسكا البنيان ،فبناؤهما يتألف من جزئيات يعقب بعضها بعضا ،كما تتعاقب دموع المحزون ،ولكل جزء وظيفته في تحديد التجربة ووضوحها [1]

لقد برزت في قصيدتيهما مجموعة من القضايا التي ظهر فيها الرثاء واضحا من خلال الوحدات المترابطة ترابطا عضويا ،سواء من جهة القضايا التي تناولتها القصيدتان ،أو من جهة الحالات الانفعالية التي تشيع فيهما ،وهذا ما سنحاول الاستفاضة فيه.[2]

1-الحزن:

لقد خلف هجوم الهلاليين باجتياحهم لمدينة القيروان مجموعة آثار لا تخلوا من دمار وتخريب وهلع كبير أصاب النفوس ،بفضل تغلب الغزاة على أهالي القيروان ،فقضوا على الأمن والسلام والسكينة ،وعلى علماء وأئمة المدينة ،فهدمت معالم نهضتها واستقرارها التي كانت تنعم بها أيام ملكها المعز بن باديس ،حيث أمست مملوءة بالخراب مستباحة.

قام ابن رشيق بوصف تغير حال القيروان من حالتها الإيجابية المزدهرة ،إلى الحالة السلبية التي تعم بهدم القيم التي كانت عليها ،وبانقضاء علمائها وفقهائها ،الذين كانوا يمثلون ركائز المدينة ،ليخلص إلى سرد أحوال من سلمت أعناقهم من سيوف الغزاة ،وهم في حالة ذعر وطلب النجدة ،فلا وجود لمن يسمعهم ويلبي طلبهم لنجدتهم ،ولا حل لهم سوى الهروب ،فأخذوا كل ما هو غال ثمين نو هم جفاة داعين لربهم أن يحميهم ،وذكر المرأة بمختلف

[1] عبد العزيز نبوي"محاضرات في الشعر المغربي القديم"ص153.
[2] صلاح جزار"قراءات في الشعر الأندلسي"دار المسيرة ،الأردن،ط1،2007،ص117

صنوفها من وليدة،وفطيمة،وأرملة،وعفيفة،وبكر عذراء جميلة،اللواتي يخاف الاعتداء عليهن فأظهرها بسمة الضعف والهروب ،لأنها تعد من حرمات المدينة وشرفها [1]

ومن عظم هذه الكارثة التي لحقت الأطفال والنساء وكل ما هو على وجه الأرض ،أن يد الظالم قد طالت المقدسات الدينية منه "مسجد عقبة بن نافع في القيروان ،وما آل إليه بعد النكبة،وكيف أصبح قبرا بعد أن توقفت الصلوات به،فكانت بذلك أعظم مصيبة أصابت الإسلام والمسلمين وبعثت في نفوسهم الحزن والأسى ،حيث قال ابن رشيق:

استخلصوا من جوهر وملابس وطرائف وذخائر وأوان

خرجوا حفاة عائذين بربهم من خوفهم ومصائب الألوان

هربوا بكل وليدة وفطيمة و بكل أرملة وبكل حصان

وبكل بكر كالمهاة عزيزة تسبي العقول بطرفها الفتان

غير أن "ابن شرف"قدم لنا في قصيدته صورة مفصلة لواقع الهاربين من هذه المدينة ،من رجال ونساء وشيوخ وأطفال ،وقد سارت بهم الطرق ،وازدحمت بهم المسالك نووزعتهم المآسي فتعرضوا إلى العدوان وإلى الجور ممن لا ضمير لهم ،مخلفين وراءهم ما يملكون من ثياب وأثاث واموال ، خرجوا فرارا لم يتسنى لهم الوقت حتى لتوديع جار . [2]

غير أن المنطلق الاول لوصف الخراب والدمار ،هو الحزن الشديد للشاعر حيال هذا الوضع ،فالحزن ظاهرة تتجلى في قصائد الشعر العربي وخاصة في شعر الرثاء .

وإذا استلهمنا العبارة القائلة :الشعر نكد بابه الشر ،فإذا دخل في الخير فسد ،وجدناها تؤكد الصلة الوثيقة بين الشعر والحزن ،و تؤكد لنا أن الحزن نسيج الشعراء باعتبارهم كيانات حالمة بمستقبل زاهر الذي يقف أمامه الواقع المرير ليمنعه من تحقق ذلك الحلم ،من هنا يشيع

[1] عبد القادر هني"مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة"دار الأمل،تيزي وزو،الجزائر،الجزائر،د.ت،ص217.
[2] ينظر المرجع نفسه،ص219.

الحزن في الإبداع الشعري ،وتبدوا مشاعر مستلبة للروح الإنسانية ،وطاقة ملهمة لقوى الشعراء الذين لا يثور إلهامهم ،ولا يستفز إلا الكامن في الحياة الإنسانية.

وهكذا طرح موضوع الحزن في شعر "ابن رشيق"و"ابن شرف"بوصفه شعورا استلابيا من الإنسان أمنه،وسكينته ،ونشاطه الفاعل ،وحماسة في الإقبال على الحياة ،وبوصفه في الوقت ذاته ملهما ومثيرا للإبداع ،و كأنه لازمة شعرية في الوقت نفسه مشاعر ضدية للكيان الإنساني .[1]

يمضي "ابن رشيق"في قصيدته ويذكر مدى حزنه وحزن العالم العربي والإسلامي ،فيذكر العراق ،و الشام ،ومصر، والخرسان،وبلاد الهند والسند لمصابها وبسقوطها تأثرت الدول المجاورة لها ،منها الأندلس ،وهذا إن دل على شيء يدل على أن القيروان كانت مركز قوة وأمن لها ولشعوب مدن ودول غيرها . وممن حزن على القيروان الطبيعة أيضا ،وهذا راجع لعظم المأساة وشدة الهول ، وما رآه الشاعر في تلك اللحظة عبر عنه ب "أى النجوم غير زواهر ،أظلم القمران،الجبال أمست خشعا ،تزعزع الثقلان"أما الأبيات التي ظهر فيها الحزن جليا هي:[2]

حزنت لها كور العراق بأسرها وقرى الشام ومصر والخرسان

وتزعزعت لمصابها وتنكدت أسفا بلاد الهند والســـــــندان

وأرى النجوم طلعن غير زواهر في أفقهن وأظلم القمـــــــــران

وأرى الجبال الشم أمست خشعا لمصابها وتزعزع الثقـــــــلان

[1] حنا الفاخوري"تاريخ الأدب العربي في المغرب"ص110.
[2] ابن رشيق"ديوان ابن رشيق القيرواني"دار الجيل ،بيروت،ط1،ص162.

وما نلحظه في قصيدة "ابن شرف القيرواني"أن عاطفة الحزن تكاد تعم قصيدته بدءا من البيت الاول إلى آخر بيت في القصيدة ،إذ أظهر تحسره على ما لقيته من انتهاك لحرمتها فأدمى قلبه وفؤاده.[1]

2-الغربة والشوق:

إن ما أتى به "مصطفى الشاذلي"حول مصطلح الاغتراب قوله :"لعل أول ملمح لمصطلح الاغتراب هو ترابطه ومفهومي الضياع الروحي والغربة النفسية والاستلاب ،وحين تتصل هذه المفاهيم بالذات الإنسانية فإنها تحيل على دلالة واحدة هي فقدان هذه الذات لكينونتها الحرة وفقدان ملكية ما "[2]

وهذا الاغتراب حصل مع أهالي القيروان ،فكل واحد لم يعد يعرف مدينته أو بيئته ،من جزءا فعل خرابها ،وكذلك ما زاده هوة بينهم عدم تواصلهم مع بعضهم البعض فكل واحد أصبح منشغلا بكيفية هروبه وفراره وجهله بما ينتظره ،وهذا ما حل بالشاعرين ،وسكان بيئتهم فكان"الابتعاد عن الأهل والوطن ،أن يغترب الإنسان عن وطنه معناه أن يصبح غريبا في أرض الآخرين وأن يصبح ضيفا في ديار غريبة ،أو على الأقل جديدة عن المناخ الذي ترعرع فيه". [3]

ومنه ينشأ الحنين فلا تكون الغربة إلا وشعور الشوق يجتاح النفس الإنسانية ،فقد يحن إلى من تغرب عنه وابتعد ،فتكون الغربة أحيانا بإرادة الإنسان ،طمعا في حياة أفضل أما "التغريب عن البلدان والأوطان ...فهو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة ،ولا يستطيع أن يتمكن من تحقيق المواقف الاجتماعية التي يواجهها أو حتى التأثير فيها .ويعجز عن السيطرة عن تصرفاته وأفعاله ورغباته ولا يستطيع أن يقرر مصيره"[4]

[1] الطاهر أحمد مكي"دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة"ص22.
[2] مصطفى الشاذلي"ظاهرة الإغتراب "مطبعة آنفور برانت،فاس ،ط1،2009،ص31.
[3] المرجع نفسه،ص32.
[4] يحي الجبوري"الحنين والغربة في الشعر العربي"ص18.

و الغربة التي وقع فيها أهل القيروان كانت بإرادتهم ،جزءا فعل الهروب من الوضع المميت وتغريبا غير مباشر جراءا فعل الغزاة الشنيع،فلاذوا بالفرار بأرواحهم تاركين لهم المدينة ،فصاروا في بلاد أخرى ينتابهم شعور الغربة والحنين إلى وطنهم وعزهم ،فصور ابن رشيق في مطلع قصيدته غربة مدينته في نظره ،فتساءل عنها :كيف كانت وكيف صارت تحت وضع الدمار ؟مع حنينه إلى ماضيها المجيد فقال[1]:

وتعيد أرض القيروان كعهدها فيما مضى من سالف الأزمان

وغدت كأن لم تغن قط ولم تكن حرما عزيز النصر غير مهان

أما عن ابن شرف وتحدثه عن الغربة التي كانت بداية التغريب من رحيل الذين نجوا في مشهد الجلاء من الوطن ،وطمعهم في حياة أفضل في مان آخر ،لإن القيروان وضعها الراهن صار غريبا عنهم ولم يعهدوه منذ تأسيسها ،فلم يلقوا سوى المذلة والإهانة ،وصار الشريف من أهلها مطأطأ الرأس ،طالبا العون من الانذال ولم يلقاه ،وها ما زادهم إحساسا بالغربة وصار الفراق يشتتهم في مختلف الأراضي ،فلا يجد الفار من مدينته ونيسا له من أهل وطنه في بلد الذي لجأ له ،ولا الحبيب حبيبه نكي يخفف عنه بعض الشيء آلامه وغربته الموحشة قال:ابن شرف[2]:

فات كرسيها الجلاء فأضحت في ثياب الجلاء للناس تجلى

فإذا نجت المقادير منهم راحلا بالخلاص يحمل رحلا

لقي الهون والمذلة أنى كان في سائر البلاد وحـــــلا

ليس يلقى إلا امرءا مستطيلا طالبا عنده حقودا وذحـــــــلا

فترى أشرف البرية نفسا ناكسا رأسه يلاطف نـــــــذلا

فهم كلما نبت بهم أرض مطايا الفراق خيلا ورجلا

[1] ديوان ابن رشيق القيرواني،ص166

[2] ديوان ابن شرف،ص90.

3-***الفقد:***

يعد الفقد من أشد حالات النفس الإنسانية إثارة لكوامنها ،فهو تجسيد حقيقي لانتقال الذات من حال تكون مفعمة بالحياة والفرح والنشاط،إلى حال تفقد فيها كل أسباب الرغبة في البقاء ،ويتلاشى إحساسها بالوجود ،ويتسرب معه من يديها كل ألوان اللذة والمتعة والفرح،فضلا على أنه يواجهها مباشرة بدون سابق إنذار بالوحدة،،التي تعلي من حولها أسوارا تحجزها عن التواصل مع الآخرين ،وتفقد القدرة على التوازن ،فتتركز أحاسيسها ومدارها في نقطة وحيدة تكمن في الانكسار .[1]

هذا الانكسار الذي يخلق جفاء بين كل ما هو مفهم بالحياة ،بيكون أكثر مائمة فيجسد اللاحياة مع ضبابية الرؤية لكل ما هو مدرك أو يشعر به فيتوقع الفرد على ذاته المفعمة باليأس والاستسلام واللامبالاة لما حولها ،وتدخل في دوامة الاوهام التي لن تتحقق وتخلق معاناته مع نفسه والآخرين "ويبقى إحساس الذات الشاعرة بالفقد أعمق من إحساس غيرها به،ولعله نابع من قدرتها على التعبير عنه".[2]

وبالرغم من أن مدينة القيروان خلت من سكانها ،وجميع من كان يقصدها من العرب وغيرهم كلا وغرضه أو هدفه المرجو منها،فالذي عبر عنها وخلدها هو الشاعر ،لأنه أراد أن يتصالح مع نفسه الفاقدة ليخفف عنها وينتصر شعوريا ،وكأنه يرد على الغزاة والمتواطئين من العرب معهم ،ليحقق بعضا من الرضى ويخلدها تاريخيا في قصيدته بعدما فقدها.[3]

فكان الفقد جليا في قصيدة "ابن رشيق" و"ابن شرف"وعبر كل واحد عنه بطريقته الخاصة ف ابن رشيق كان تعبيره عنه واضحا وصريحا ،وذلك من خلال عبارة –كم كان فيها من كرام سادة-فجاءت حاملة لدلالات الفقد،إذ فقدت المدينة الكرامة والسيادة وغيرها من

[1] خالد جبرور ورزان ابراهيم"شعرية النقد جدل الحياة والموت في شعر الخنساء"دار جرير ،عمان، الأردن،ط1،2012،ص51.
[2] ينظر المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[3] خالد جبرور"شعرية النقد"ص54.

الصفات التي كانت تميزها نبل فقدته خلال ليلة وضحاها ،ثم جاء بعبارة أخرى داعمة كانت تعد القيروان بهم.

غير أن الفقد الذي أظهره "ابن شرف"كان مفعما باليأس والتأسف على الوضع الذي آلت إلى القيروان ،إ سحقت الديار وفقد الأهل وماتوا ،وغابت الحياة ،وحل محلها الظلام والموت ،فرحل عن القيروان سكانها وهربوا منها بعدما فقدوا استقرارهم فيها،لقد فقد الزوج زوجته والحبيب حبيبته،وهرب تاركا وراءه كل شيء يمكن أن يلغي فعل الفقد.

بحلول الفاجعة بالمدينة صار الفقد عنوان كل نفس هائمة على وجه الأرض وفي عدة مدن قريبة من القيروان ،ومن صور الفقد في الديوان قوله:طآه للقيروان،عادت بها الديار قبورا،لا شمعة ،بعد زهر الشماع توقد وقدا ،بعد يوم كأنما حشر الخلق ،تركوا الربع والأثاث ،عاد النبيه.[1]

4-***<u>الموت:</u>***

يقول باسكال:"إن كل ما أعرفه هو أنه لا بد لي أن أموت"[2]وهذ ا يعني أن الموت واقع محالة،غير أن الذي يختلف هو طريقته أو السبب الذي يؤدي إليه ،فهناك من يموت بمفرده وهناك من يموتون في جماعة ،غير أن الموت نهاية لحياة نعرف طرفا منها وهي الدنيا ونجهل كل شيء في بداية الحياة الأخرى وهي الآخرة.يقول مصطفى محمود "الموت في حقيقته حياة ...ولأن الموت يحدث في داخلنا في كل لحظة ونحن أحياء...الموت إذن حدث مستمر يعتري الإنسان وهو على قدميه".[3]

والموت الذي أخذ الحياة من القيروان كان موتا يتمثل في الإبادة الجماعية للبشر وكذلك ما خلفه من تدمير وهلع ،فحاصر كل من بقي على قيد الحياة ،وصار يلاحقه أينما ذهب،فلم يجد سبيلا لردعه سوى الهروب إلى وطن آخر لا تتحقق فيه دواعي الموت،كما هو في

[1] المرجع السابق،ص55.

[2] جاك شارون"الموت في الفكر المغربي"تر:كامل يوسف حسين،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،د.ط،1984،ص09.

[3] مصطفى محمود"لغز الموت"دار المعارف ،القاهرة،مصر،د.ط،ص04.

القيروان الذي كان يلاحق ويطارد كل من بقي قلبه ينبض بالحياة ،فجاء ابن رشيق بمفردات يعبر بها عن الموت ،أو من تسبب في الموت مثل:-فتكوا بأمة محمد،وغدر الجوار،وسبي الحريم،العذاب،وأيدي العصاة،وبادوا نفوسهم،وقضوا العهود المبرمات،الأرملة.

أما "ابن شرف"فتحدث عن الموت في ثاني بيت من قصيدته ،أثناء ذكره القبور التي تحتوي على أجساد حولها الموت إلى جثث مدفونة تحت ركام البيوت المدمرة يقول[1]:

حين عادت بها الديار قبورا بل أقول:الديار منهن أخلى

لقد أشار إلى تحول المساكن كلها إلى قبور ،وتحدث عن الجلاء الذي يعد هروبا من الموت،وأتى بمصطلحات تدعم حلول الموت وهي –الحزن،ولا شمعة،وثكلا،والجلاء،والنوح،والفراق-ثم تكلم عن الذي يتسبب في الموت مشيرا له ب:-من ثعابين حاملين نيوبا،والشياطين،وتعرى الظهور،وتشق البطون،وأصابوه في أحشائه-[2].

الموازنة:

لقد كلف الأدباء في مختلف العصور بالموازنة بين الشعراء في عصر واحد،فوازنوا بين امرئ قيس "النابغة"و"زهير و"الأعشى"في الجاهلية [3]،وبين جرير والفرزدق والأخطل في الدولة الأموية،غير أن أول من قام بالموازنة المدونة هو محمد بن سلام الجمحي ت231ه،الذي وازن بين الشعراء ورتبهم في طبقات ،والموازنة المنهجية الشاملة لم يعرفها تاريخ النقد العربي ،إلا بعدما انقسم الأدباء في شأن بعض الشعراء ،لما كان لكل منهم ميزات شعرية خاصة ،فنشبت خصومة بين مناصري الأدباء وخصومهم،كما نجد هذه الخصومة بين مناصري "ابي تمام"و"البحتري"وبين مناصري "المتنبي"وخصومه.[4]

[1] ديوان ابن شرف،ص89.
[2] عبد اللطيف عيسى"شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الاندلس"ص159.
[3] المرجع نفسه،ص73.
[4] عزوز زرقان"شعر الاستصراخ في الأندلس"دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،2008،ص152

والأدب المغربي القديم جزء من الأدب العربي العام،فلم يكن بمعزل عنه،فهو رافد من روافده بحكم الانتماء إلى لغة واحدة وتراث واحد هو الشعر العربي والفكر العربي[1]

فقد واكب أحداث عصره سواء كانت في شكل فتن أو ثورات داخلية،أو تقلبات شهدت زوال دولة وقيام أخرى ،أو كانت بسبب حروب خارجية،غير أن هناك موضوعات تتعلق بهذا الجانب في إطار السياسة ،ونعني بها تلك الموضوعات التي تتناول آثار هذه الفتن والحروب من مثل البكاء على المدن،ومن بينها البكاء على مدينة القيروان ،فنظم هذا اللون تحت وقع الفوضى التي اضطرت الشعراء إلى ذلك وفقدان الأمل أدى إلى هجرة موطنهم[2]

فيختار الشعراء الجانب الحزين من جوانب العواطف الإنسانية،وهذا مرده إلى ما يعيشه الفرد أو الأمة بين الحين والآخر لأن الرثاء التزام بشعور كريم

وهذا ما أدت به فاجعة القيروان ،التي سحقت تحت وطأة الغزاة ،فقد عشقها أهلها وهام بها شعرائنا مثل"ابن رشيق"و"ابن شرف"اللذان أدركا قيمتها ،كما أدركا مكانتها الحضارية والثقافية على مدار التاريخ ،إلا أن شدة العواصف بين المسلمين والعرب أنفسهم،جعل أوصال القيروان تتمزق،فكان التشرد ،والضياع ،والغربة،والألم،والقهر،والظلم،فأحس الشاعر في ثنايا كل هذه الأحداث أن كنزا نادرا قد ضاع بين يدي أهله،مما جعلهما يبدعان في رثاء الفردوس المفقود وأهله[3]

حيث يذكر محمد"عويد الطربوكي"مجموعة من خصائص رثاء المدن نقدمها كما يأتي[4]:

-شدة العاطفة وصدق الإحساس،الذي اعتلى تلك القصائد ، التي قيلت في رثاء المدن ولا سيما العاطفة الدينية

[1] عبد العزيز نبوي"محاضرات في الشعر المغربي"ص31.
[2] المرجع نفسه،ص32
[3] المرجع السابق'ص153
[4] محمود عويد الطريركي"المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي"ص402.

-ارتباط هذا الرثاء بغرضين آخرين هما:الحنين إل تلك الديار والمواطن والاستنجاد وطلب الإغاثة.

-شملت قصائد الرثاء نقدا لاذعا للأوضاع السياسية المتردية والأحوال الاجتماعية ،المتهاوية.

-التعصب للمدينة وليس للوطن كله،فمثلما برز الحنين والشوق لمدينة الشاعر ومن قبلها نشأت الغربة لمفارقتها،وقف هنا ليرثيها ويصف ما حل بها .

ولقد حاول كذلك "عبد اللطيف عيسى "أن يجمع لنا بعض الخصائص أخرى وهي:

-حاول الشعراء تحديد مواطن الخلل للإفادة منها في مواجهة الحالات المماثلة وقبل وقوعها ،فنسبوا أسباب هذه النكسة حينا،إلى ارتماء المسلمين بين أحضان اللذة والترف المادي وحينا آخر إلى فعل الدهر.

-يمثل هذا الرثاء الخالص،لكل الخيرين لنجدة واستنهاض الهمم والندب الخالص.[1]

-اعتمدت قصائد الرثاء العاطفة إذ "تمثل العاطفة عنصرا مهما في مضمون قصائد الرثاء وخلوها يبعد القصيدة عن دائرة الغرض فتأتي قصيدة الرثاء للشعر عن مشاع الحزن والأسى التي يعانيها الشاعر نتيجة لفقد عزيز على قلبه...بل فقد الأعزة والأرض والممالك فجاءت مراثي هذا العصر حافلة بالعاطفة التي تتباين في قوتها وصدق شعورها بتباين الصلة بين الراثي والمرثي...فنجد مشاعره جياشة بالأسى ...في حين تتحول هذه المشاع إلى الحزن ممزوج باليأس وهو يعيش تساقط المدن.[2]

إن الشاعر لا يرثي مدينة ما،إلا وقد بلغت أهمية عظمى في قلبه،ما يؤدي به إلى الإسراف من عواطف الحب والأسى والحسرة عليها ولمصابها الأليم،فلا يرثي الشاعر إلا مدينته التي كانت مسقط رأسه،أو التي كبر وتعلم فيها ،فلا يستطيع إنكار معروفها ،فقد نشأت بينهما

[1] عبد اللطيف عيسى"شعر الرثاء في عصر الملوك"ص142

[2] ينظر المرجع نفسه،ص144.

علاقة متينة لا [1]يغلبها إلا الدهر،وأيضا قد يرثي الشاعر مدينة تنتمي إلى قوميته ،ولكن العاطفة تكون خافتة ،ويغلب العقل أكثر في إعطاء حكم وعظات ورشد.

ونظرا لاهتمامنا بموضوع رثاء المدن وخاصة رثاء القيروان عند كل من الشاعرين "ابن رشيق"و"ابن شرف"وبدراستنا لقصيدتيهما في هذا الصدد،توصلنا إلى نقاط تلاق وتشابه ونقاط اختلاف بينهما حيث يتميز كل واحد منهما عن الآخر في طرحه على الرغم من أنهما يخوضان في الموضوع نفسه.

<u>*أوجه التشابه:</u>

لقد جاء رثائهما للمدينة نفسها وهي القيروان ،والتي تمثل موطن كل واحد فيهما،مع أن "ابن رشيق"موطنه الأصل هو المسيلة لأنه ولد بها ،إلا أن القيروان احتضنته وتألق في سماها فجاءت قصائدهما للسبب نفسه،ويعيشان العصر ذاته ،حيث أننا وجدنا في ديوانيهما قصيدة واحدة لغرض رثاء مدن التي تخص القيروان ،أما العلاقة التي كانت تجمع بين الشاعران ومدينتهما كالعلاقة بين الأم وولدها،غير أننا نجد بعض المقطوعات في ديوان"ابن شرف"تناول فيها رثاء القيروان إلا أن هذه المقطوعات لم نتناولها في الدراسة وأخذنا فقط القصيدة ،كي نحقق التوازن بين الشاعرين في الدراسة.

إن هذا الهجوم على المدينة خلف مأساة وخرابا،مما أدى إلى حراك مشاعر الحزن عند الشاعرين ،وحول مسارهما من الموضوعات المختلفة مثل المدح ،والزهد لتظهر مشاعره المتأزمة في موضوع الرثاء ،هذه المشاعر التي سادت القصيدتين طمست كل ما له علاقة بالحياة،فكان وقوع المأساة وهروب الأهالي مع وصف لحالة النساء، ولأن المرأة من أضعف المخلوقات على وجه الأرض،وهي أيضا الشرف الذي يجب أن يصان ،جاء تصوير الهاربين عند "ابن رشيق"وهم حفاة آخذين معهم كل ما هو غال وثمين ،وكذلك تحدث عن خراب المسجد أما ابن شرف فتحدث عن خراب الديار ،وأما عن الهاربين فصورهم تاركين كل شيء يملكونه وراءهم راجين الخلاص بأنفسهم لا غير ،هذا إن استطاعوا ذلك.

أما عن الشكوى ونظرا لما آلت إليه القيروان عزت على الشاعرين ،فشكوا الدهر والزمن والأيام ،ولاموهم على أنهم السبب فيما جرى وقلب حال مدينتهم ،متناسين أن يذكروا بسوء من كان السبب الرئيس في هذه الحال وهم الهلاليين ،ودعوا الله أن يعيدها إلى سالف عهدها ،متكفين فقط بالتلميح لمن كان السبب في ذلك.

تحدث كل منهما عن الموت الذي أهداه الغزاة لأهالي القيروان،فجاء "ابن شرف"بعبارة:عادت الديار قبورا،أما "ابن رشيق"لمح له بذكر الأسباب المؤدية لذلك مثل:الغدر،الأرملة،الفتك.

جاءت القصيدتان ذات وحدة موضوعية متماسكة ،يصعب إيجاد ثغرات فيها ،وقد أعطيا أهمية لهذا الفن حيث جاء انفعالهما ،بسبب صدق عاطفتهما وحرارة شعورهما وأسى عميق بداخلهما ،اتجاه مصاب مدينتهما ،والذي وصلنا وحرك عواطفنا كان سببه ما تلقيناه من أثر خلفته هذه العاطفة على نفوسنا ،عاطفة الحزن التي طغت على القصيدتين.

<u>*أوجه الاختلاف:</u>

أما عن نقاط الاختلاف التي يمكن من خلالها إبراز وإيضاح مختلف الرؤى التي تميز الشاعر عن الآخر،وأهم النقاط التي أراد أن يظهرها الشاعر على حساب النقاط الأخرى

*في مطلع القصيدة تحدث ابن رشيق عن ماضي المدينة الجديدة المجيد ،مع التساؤلات عن هذا الحاضر،أما ابن شرف انطلق من لحظة سقوط مدينته معبرا عن مدى حزنه وأساه.أما في الختام نجد ابن رشيق بقي في الماضي أما ابن شرف مازال يتحدث عن اللحظة الحاضرة وهي الفراق،كما نجد رثاءه ندب وعزاء أما رثاء ابن رشيق تأبين وعزاء وقد ذكر محاسن المدينة كثيرا على غرار ابن شرف.

*تحدث ابن رشيق عن الخراب انقسام المسلمين ،وصف حالة النساء ،تدمير المسجد الذي لا صلاة ولا أذان به أما عند ابن شرف خراب الديار ،جلاء الأهالي ،وصف حالة النساء والهروب بالنفس فقط.

*نجد قصيدة "ابن رشيق"أطول من قصيدة"ابن شرف"إذ إن الفارق بينهما في عدد الأبيات هو 29بيتا ،أي ما يعادل قصيدة أخرى ،وهذا ما سمح ل"ابن رشيق"بأخذ كل راحته في التوسع من خلال الطرح ،على خلاف "ابن شرف"الذي كان طرحه موجزا،إذ نجد "ابن رشيق"مثلا بلغ في مدح وذكر محاسن القيروان أما عند "ابن شرف"نلحظ انعدامها وجاء فقط في حوالي بيتين ،فتفرد بذلك بلون من الرثاء وهو التأبين .

إن الملاحظ على قصائد الرثاء هو أنها لا تخرج عن ثلاثة ألوان وهي الندب،التأبين،والعزاء،أما الندب فهو بكاء على الميت ،وتعداد محاسنه بالدموع الحارة والألفاظ المحزنة ،فيسرف الشاعر في النحيب وذرف الدموع،ليثير عبرات النفوس ،فنحس بالنواح والبكاء ،ويشغل الندب مساحة واسعة في مراثي المغاربة العرب،لأن مصابهم وما نزل بهم من فواجع كانت كافية لجعل مراثيهم تقطر بالأسى والتحسر والدموع .[1]

أما التأبين"هو مدح الميت والثناء عليه وذكر الفضائل...كالكرم والشجاعة والعفة ...وقد يستعمل للأحياء أيضا ،ويكثر التأبين في رثاء رجال الدولة...حين يندفع الشاعر إلى ذرف دموعه الحارة لقاء الجوائز الساخية ،وأرى أن العواطف لا تباع بأبخس الأثمان"[2] فهو أشبه بالمدح ،لا يختلف عنه سوى الإشارة إل إن الكلام يقال على الميت.[3]

والعزاء هو كذلك"دعوة إلى التفكير في رحلة الحياة ومصير الإنسان،قوامه حكم وعظات في الحياة ،والموت،القصد منه تخفيف الأحزان ،وتهوين المصيبة ،والصبر والرضا بما نزل به والاستسلام للقدر". [4]

قليلا ما نجد قصائد الرثاء تنفرد بلون واحد من ألوانه،سواء كان ندبا ،أو تأبينا أو عزاء ،فغالبا ما تكون هذه الألوان الثلاثة مجتمعة في قصيدة واحدة،أو على الأقل لونان معا وهذا يكون راجع إلى الحالة النفسية للشاعر،ورؤاه الواقعية ،والفلسفية للحياة فقد يبدأ الشاعر

[1] عبد اللطيف عيسى"شعر الرثاء في عصر الملوك"ص17
[2] المرجع نفسه،ص16.
[3] ينظر سعيد بوقلالة"دراسات في أدب المغرب العربي"ص106
[4] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

قصيدته أولا بالندب ،ويكون عند تلقي الفاجعة مباشرة بموت عزيز ،فيجعل أنها من عند الله ،ويسرع إلى إثارة النفوس بالنواح ،ثم يذهب إلى المدح الميت والثناء عليه،وذكر محاسنه ،وفضائله موظفا بذلك لون التأبين ،إلى أن يهدأ ويظهر هذا في العزاء ،وهو لون يحتوي كثيرا من الصبر على الفقيد ،وفلسفة تقود السامع إلى التأمل في مصير الإنسان،ولوم الزمان،والاستسلام والرضا بحكم القدر.

لجأ "ابن رشيق "إلى الجبل ثهلان ،ليستشهد به عن عظم المصاب ،فلو حل له ما حل بمدينته لدك واستوى مع الأرض وهذا لم نجده الشاعر ابن شرف.

لقد صور لنا "ابن شرف"خراب المدينة في انقسام المسلمين ،وتشرد النساء،وتدمير المسجد،الذي أمسى بلا أذان وبلا صلاة،وصور الهاربين وهم يأخذون كل ما هو ثمين أما ابن شرف"فتحدث عن خراب الديار ،وجلاء الأهالي،وحالة النساء المروعة،أما عن[1] الهاربين فكان هروبهم بالنفس فقط.

[1] صلاح جزار"قراءات في الشعر الأندلسي"ص118.

الفصل الثاني:"دراسة قصيدتي ابن شرف وابن رشيق "

*الوحدة الشعرية.

*الموسيقى.

*الأسلوب.

*الموازنة.

تمهيد:

لقد كانت الحياة الثقافية في مدينة القيروان في عهد الشاعرين على قدر كبير من التنوع والثراء والعمق،مما ترك أثره على ازدهار حركة أدبية وفكرية وفنية،كان لها الأثر في نشأة فن التصوير ،وما ساعده على ذلك التنوع والجمال في هذا العصر ،حيث استغل الفضاء السياسي ،وحمل آثار تيارات فكرية متنوعة واغتنى بأساليب مختلفة.

1-الوحدة الشعرية:

مضى على اللغة زمن من الدهر وهي تعني مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ’و هي وسيلة للاتصال و التواصل بين البشر ’و هي التي يستعملها الشاعر للتعبير و نقل تجربته ’و لجماعة الديوان و خاصة العقاد رأي في اللغة فهم يعتبرون الألفاظ لا قيمة لها في ذاتها و غن قيمتها إنما تكمن فيما ترمز إليه من معاني فهذا يتماشى مع مفهوم الشعر عندهم يرجع لنفس صاحبه.[1]

على الرغم من أن اللغة تتحول تحولا حتميا من لحظة إلى أخرى’بحكم ما تفرضه فيزيولوجيتها الخاصة’و أنها تتحرك باستمرار دون أن تشعر حركتها اليومية ’إلا أن الشعراء ظلوا يكررون و يعتبرون ما قاله الأوائل رغم أنه لا يكون الشاعر شاعرا إلا إذا حقق لنفسه عالمه اللغوي الخاص به.

النظرة لنقدية والأدبية الحديثة بدراسة دقيقة ومتأصلة تلقي النظرة التي تجزي العمل الفني ،فهي كالكائن الحي في اتصال بعضها ببعض الآخر،وهذه الدراسة تعد الفن نتاجا عاطفيا مرتبطا بالمشاعر ونتاجا فكريا ينبع من العقل ،ولهذا اتجهت الأنظار إلى دراسة الصورة،لأنها تبرز العمل الفني وتنقل الفكر والعاطفة من خلاله ،فهي جوهر الشعر وأساس الحكم عليه.[2]

[1]محمد زكي العشماوي"دراسات في النقد الأدبي المعاصر"دار المعرفة الجامعية،القاهرة،ص107.
[2]ناظم عودة"جماليات الصورة من الميثولوجيا إلى الحداثة"دار التنوير،بيروت،لبنان،ط1،2013،ص89.

هذا لأن الشعر يختلف عن غيره،وأن له مستواه الخاص وتراكيبه التي تناسب موسيقاه،ولا [1]يصح استخراج قواعد عامة،لأنه يحتوي على كثير من الصيغ الفنية والعبارات المتكلفة التي تبعده عن تمثيل الحياة الحقة،وتنئيه عن الروح السائدة من خلال الربط الفني بين الشكل والمضمون ،في إطار لغوي تظهر فيه قدرة الشاعر على الإبداع والموهبة في الخلق الفني،غير أن الظروف التي يبني فيها الشاعر قصيدته تختلف تماما عن ظروف متكلم آخر من بيئته نفسها ،لأن القصيدة تتألف من حيث الشكل الفني من الأوزان والقوافي ،المسوغة في لغة فنية منضبط انضباطا كاملا ،ينفرد بها الشاعر ،ويتميز في استغلالها ،حيث يتضح ذلك من خلال اللغة المستعملة والاسلوب الذي يتميز به كل شاعر عن آخر.[2]

لقد حظيت هذه اللغة الشعرية باهتمام القدامى،ولم تكن وليدة العصر الحديث ،فلقد أوردها أرسطو في كتابه فن الشعر ورآها ضرورية لكمال العمل الفني وكان يعني بها وحدة الموضوع والبنل كلا متكاملا ،وقد اهتم النقاد العرب القدامى أمثال ابن رشيق ،وابن شرف بها إلا أنهم عنوا بوحدة الشكل في تآلف موضوعات جاهلية الغزل والمدح والفخر والبكاء على الأطلال....،فدعوا إلى تنسيقها وضرورة تتابعها في القصيدة .والتفاهم هذا لم يكن كافيا لأن اصرارهم على وحدة البيت أغناهم عن القصيدة بكاملها ،فالوحدة العضوية عند الناقد القديم كان ينظر إليها من بؤرة قواقعه الشعري الذي يتمثل في وحدة البيت الذي تتزعزع بغيره أركان العروض الخليلي.[3]

ويقول غالي شكري في هذا المجال "ولم تكن المخيلة العربية في تعاونها الشيق مع الذهن العربي قد تصورت حين ذاك ما يقيم القصيدة وتكاملها بغير الوزن والثقفية

[1]عهود عبد الواحد العكيلي"الصورة الشعرية عند ذي الرمة"دار الصفاء ،عمان،الأردن،ط1،2010، ص19

[2]ابراهيم عبد الرحمن محمد"الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية"المصرية العالمية للنشر،ط1، 2000،ص172.

[3]محمد زغلول سلام"تاريخ النقد الأدبي والبلاغة"دار النشر منشأة المعارف،مصر،ط3،1964،ص13.

والروي،وهذه كلها تجعل من القصيدة عاملا حاسما في توجيه الشعر نحو وحدة النغم ،كالوحدة المعنوية الصحيحة.[1]

يمكن القول أن" ابن رشيق" استحضر في أول قصيدته ماضي القيروان ،وهو ماض كانت به في قمة إسلامها ،فاستغل الألفاظ الدالة على ذلك وهي:الإيمان ،والديانة،والعلوم، والقرآن،الحديث،والعلماء،وجنة الفردوس،وطاعة الرحمن،وهي ألفاظ تدل على أن المدينة كانت سرحا ومنارة للإسلام والمسلمين ،أما عن حاضر المدينة فأصبح مفعما بالحزن والموت،فكانت المصطلحات الواردة والدالة عليهما متنوعة وهي:سوء عذاب ،مصائب،وقد وظف مفردات الطبيعة مثل النجوم،الشمس،المسجد،الأرض،وأسماء البلدان،مصر العراق القيروان.

أما "ابن شرف"عبر عن الماضي بالنبيه الوجوه الحسان وعبر كذلك عن الحاضر بالبكاء والحزن والفراق والدموع ثم استعمل الشاعر ألفاظ أخرى أمثال أرامل طفل وجوه،فؤاد،سعاد،حيث إن هذا المواطن البريء لقي الموت مصيرا محتوما عليه .

كما أنه وظف مفردات الطبيعة مثل:قبور،أرض ،بلاد،ديار.

2/الموسيقى:

الموسيقى خاصية الشعر الأولى،فماذا كان الشعر يكون بدون موسيقى ،فتجعل منه خطابا ذا خصائص صوتية تميزه عن غيره،فالموسيقى أعم من العروض ،فهي متسلطة على النص الأدبي في كل مظاهره الصوتية والإيقاعية الداخلية والخارجية ،حيث يرى أرسطو أن الدافع الأساس للشعر يرجع إلى غزيرة الموسيقى والإحساس بالنغم .[2]

*الموسيقى الداخلية:

غير أن أحمد أمين يرى في هذا الصدد أن موسيقى الشعر تخاطب العاطفة وتثيرها ،كونها أوضح لغة للعواطف فلا يشاركها في ذلك الضحك والبكاء والصراخ فهي جميعا

[1] غالي شكري"صراع الأجيال في الأدب المعاصر"دار المعارف،مصر،د.ط،1982،ص85.
[2] ابراهيم أنيس"موسيقى الشعر"مكتبة أنجلو المصرية،ط2،1952،ص12.

لغات العواطف،ولكن الموسيقى أقواها وتأثيرها أسرع فهي التي تسترعي العواطف ،أي إن أحمد أمين يوضح أهم لغة من لغات العاطفة وهي الموسيقى ،لأنها هي السبب المباشر في استدعائها واستحضارها وتنوعها وللموسيقى نوعان[1] :

*الموسيقى الداخلية:

تخص الموسيقى الداخلية البديع ،لأنه "وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ،فهو ليس في الحقيقة إلا تفننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون ل نغم موسيقي وحتى يسترعي الآذان،كما يسترعي القلوب،والعقول بمعانيه ،فهو مهارة في نظم الكلمات وبراعة في ترتيبها وتنسيقها...هو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع ،ومجيء هذا النوع في الشعر يزيد من موسيقاه ،وذلك لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان.[2]

ومن ألوان البديع اللفظي الذي تم توظيفه في قصيدتي ابن رشيق وابن شرف الجناس والطباق وتكرار الأصوات،ما زاد في بهاء موسيقى القصيدتين وتجسيد لعاطفتيهما ويتضح ذلك فيما يأتي:

-1-الجناس عند ابن رشيق:

وظف ابن رشيق الجناس وفقاهة/فصاحة/الأمن/الإيمان/بنان/بيان،رهبان/برهان،علوم/علماء

الملاحظ من خلال ما تقدم أن ابن رشيق القيرواني لم يوظف الجناس التام ولو لمرة واحدة،غير أنه اكتفى بالجناس غير التام،فكان بزيادة حرف أو حرفين ،وكذلك بتغيير مراتب الحروف.

*الجناس عند ابن شرف:

[1] عبده عبد العزيز"البلاغة الاصطلاحية"دار الفكر العربي،القاهرة،ط3،1992،ص237.
[2] عبد الرحمن حسن الميراني"البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"ج2،دار النشر،جدة،ط1،1996، ص485.

كـــــان حاضـــــرا الجنـــــاس عنـــــده هـــــو الآخـــــر متمـــــثلا في:غفلا/عسلا،تغسل/غسلا،تبلى/وبلى،سعاد/تسعد،توقد/وقدا،ذبلا/ذحلا،خل/خل.نبلا/نبلا.

الملاحظ مما سبق أن ابن شرف على خلاف ابن رشيق الجناس بنوعيه التام والمتمثل في نبلا نبلا ،فالأولى تعني أداة يرمى بها ،والأخرى هي صفة الإنسان السوي ،جار/جار فالأولى تعني الجور والظلم،وهي صفة،أما الثانية فهي تعني ذلك الإنسان الذي يسكن قربك وجوارك.أما الجناس المتبقي ينتمي إلى الجناس الناقص.

وللجناس عدة دلالات فنية مما أدى الشاعران إلى توظيفه ،هذا لأنه يعد"فن بديع في اختيار الألفاظ التي توهم في البدء التكرير ،لكنها تفاجئ بالتأسيس لاختلاف المتن"والجناس التام الذي يوحي أكثر إلى تكرار اللفظة ،لكن بالإمعان الجيد يمكن الوصول إلى الدلالة الثانية التي يريدها الشاعر، والتي تسمح بفتح آفاق دلالية أخرى قابلة للتأويل في النص.[1]

-2-الطباق:

يقدم عبد العزيز قليقلة[2] على أنه "الجمع في الكلام بين الشيء ،الواحد وضده أو مقابلته ظاهرا كان أم خفيا "هذا لأنه تجسيد حقيقي لحالة الفقد فهو يمثل ثنائية الحياة والموت ،والوجود والعدم ،والقوة والضعف والعز والذل ....إلى غيرها من الثنائيات التي عايشها الشاعران،هذا فضلا على أن الطباق يمثل نوعا من الإيقاع المعنوي للغة فهو إيقاع من أنماط الموسيقى الداخلية الذهنية التي تثير في المتلقي إحساس بتضاد الوجود الإنساني في ذاته.

الطباق عند "ابن شرف":

الديار/القبور،سلطان/جار،عدل/معنى/شكلا،شرقا/غربا،ضمهم/فرق،الوعر/السهل.

الطباق عند "ابن رشيق":

[1]ينظر المرجع السابق'ص486.
[2]ينظر عبد العزيز"البلاغة الاصطلاحية"ص240.

كلام/إشارة،سلطان/شيطان،إعلان/غامض،كشفوا/حلوا،خافوا/آمنوا،واضح/ليل.0

غير أن توظيف الطباق عند الشاعرين ،كان يهدف من خلاله إلى إبراز كوامنهما الشعورية المتضاربة كتضارب واقعهما الراهن،الذي يتخبط بين تضاد عوامل ومسوغات الحياة والموت ،وبما أن الواقع يسلم بوجود العديد من الثنائيات المتضادة التي يقوم عليها ،فلم يجد الشاعران نفسيهما إلا مرغمين علة توظيف هذه التضاربات ،شعوريا أو لا شعوريا.

***الموسيقى الخارجية:**

في الغالب ما تتصرف الموسيقى الخارجية إلى مواد،وهي الوزن أو البحر وكذلك القافية،فهل حضرت حقا هذه المواد الصوتية قبل الشروع في كتابة القصيدة ،أم جاءت عفو الخاطر وسيل قريحة ،وعطاء خيال محض؟إننا لا نحسب أن لا هذا وذاك ،فربما عمد الناص إلى تحضير هذه المواد الصوتية دون أن يعمد في طلبها كلها،مما يترك للقريحة أن تبدع وللخيال أن يبتكر.[1]

وجاء "غنيمي هلال"معبرا عن هذا فقال[2]:"حيث كانت صياغة الشعر العربي القديم في كلام ذي توقيع موسيقي ووحدة نظم تشد من أزر المعنى وتمثلت الصياغة الموسيقية في الشعر العربي ببحوره وقوافيه التي وصلت إليها ناضجة"والتي يمكن أن نتعرف عليها كما يأتي:

-1-الوزن:

يتحدث "العربي دحو"عن الوزن كونه نظام فيقول:"فشاعر القصيدة العربية الأول –أيا كان-مشدود بنظام معين لا يستطيع تجاوزه ،وهذا الذي تمثله التفعيلات المكونة للبحر العروضي ،ومن ثم له اختيار في تحديد المكان لأنه يكتب قصيدة منظمة –نمطية-وهذه

[1] عبد المالك مرتاض"دراسة سيميائية تفكيكية"ص165.
[2] محمد غنيمي هلال"النقد الأدبي الحديث"نهضة مصر للطباعة،القاهرة،2004،ص135.

القصيدة لا تعتمد النظم حتى تحدد المساحة ولكنها تعتمد الأذن،والدفق العاطفي ،والحالة النفسية التي تبدأ معها ولادة القصيدة".[1]

والوزن هو أحد عناصر الشعر وله دلالته خاصة لا يمكن أن ينفصل عن المعنى الذي يتولد منه أولا،حيث يأتي الوزن لاحقا ،ويتميز الوزن بخصائص صوتية تبعا لكل وزن[2]

ولما جاءت قصيدتي "ابن رشيق"و"ابن شرف"موزونة على الوزن العربي ،ف"ابن رشيق"نظم قصيدته على البحر الكامل أما صديقه فنظمها على الوزن الخفيف إلا أن هذان الوزنان لقيا بعض التغيير ويظهر هذا عند :

***ابن رشيق:**

التفعيلة	نوعها
متفاعلن	زحاف الإضمار:إسكان الحرف الثاني المتحرك
متفاعل	زحاف الكف:حذف ساكن الوتد المجموع المتأخر وتسكين الحرف الذي قبله
متفاعل	علة قطع:حذف ساكن الوتد المجموع المتأخر وتسكين الحرف الذي قبله.
متفاعلات	علة ترفيل:زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع

مفاعلن

التفعيلة	نوعها
مفاعلن	زحاف الخبن المفرد:حذف الحرف الثاني

[1]العربي دحو"الأدب العربي القديم في المغرب العربي"دار الكتاب العربي،الجزائر،2007،ص167.
[2]عبد اللطيف عيسى"شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس"ص170.

	الساكن.
فعلاتن	زحاف الخبن المفرد:حذف الحرف الثاني الساكن.
فاعلات	زحاف الكف المفرد:حذف الحرف السابع الساكن.
فعلتن	زحاف الخبل المزدوج:اجتماع الخبن والطي.

لقد استعان الشاعران بالزحافات والعلل باختلافها كل واحد حسب قصيدته،وهذا يعني أنهما اخترقا المساواة في إيقاع البحر الذي استعملاه،لأن "هذه المساواة في وحدات الإيقاع والوزن مدعاة للملل ،لو كانت تامة كل التمام ...أو توالت الكلمات متساوية تمام المساواة في صفاتها من حروف مد ولين وغيرها لأن النغمات تبدوا إذن رتيبة يملها السمع ،ثم إن الموسيقى في البيت تابعة للمعنى والمعنى يتغير بتغير البيت".[1]

كما قام "ابن رشيق "بتغيير إيقاعه بإدخال زحافات وعلتان،أما "ابن شرف"فاكتفى بالزحافات /كانت متنوعة على ان أكثرها شيوعا تفعيلة فعلات.

استعمل "ابن رشيق"بحر الكامل وهو أكثر "البحور جلجلة وحركات كأنما خلق للتغني ولذا لا يصلح للحكمة والفلسفة ،وفيه مذهبان الفخامة والجزالة،الرقة واللطف ويصلح للعواطف البسيطة كالغضب والفرح ومن العجيب أن الرثاء قلم أن يصلح فيه إن لم يكن نوعا من التفجع"غير أن "ابن رشيق"استعمله للتغني بحزنه إذ لم يتناول فيه موضوع الحكمة،ولم نجد فيه التفلسف ،ليصف فيه تفجعه ولوعته لما جرى لمدينته القيروان.

أما ابن شرف فكان البحر الذي احتضنته قصيدته هو الخفيف،وهو الذي يقول عنه عبد القادر بن القاضي:"بحر كما يدل عليه اسمه،خفيف في غنته الإيقاعية غير أنه كان

[1]ينظر العربي دحو"الأدب العربي القديم"الصفحة السابقة.

نادرا في الشعر القديم...وقد بدأ الشعراء يهتمون به في العصر العباسي"غير أن تفعيلات البحر الخفيف هما تفعيلتان متماثلتان وهما فاعلاتن تخالفهما التفعيلة الثالثة وهي مستفع لن،ولا شك أن ذلك يخفف من رتابة الإيقاع ووتيرته الواحدة،إلا أن الكامل الذي استعمله ابن رشيق نجد به تفعيلة واحدة تتكرر ست مرات وفي البيت وهي متفاعلن،وفيها رتابة ،فاستعان بالعروض الثالثة وهي مستفعلن كي يهدؤها.

وقد ربط الباحثون هذه التغييرات الزحافية والعللية إلى "تزايد نبضات القلب في الانفعالات النفسية تلك التي قد يتعرض لها الشاعر أثناء نظمه ،فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس ولكنها بطيئة حين يستولي عليه الهم والجزع"

ففي الفرح تتسارع نبضات القلب،أما الحالة التي عليها الشاعران فهي تتضح بالحزن واليأس والأسى.

غير أن الأصوات الحاضرة بقوة والتي استعان بها الشاعران هي الصوت الممدود والمشدد أو المدغم وكذلك التنوين ،ولكل منهم دلالته ،فالصوت الممدود ظهر جليا ،لأنه أوضح الأصوات تلك التي تسمى الحركات الطويلة الممدودة بالألف والواو والياء،ووجدوا أن هذه الأصوات تبرز في أثناء الكلام ولا تخفى في السمع.[1]

أم عن الأصوات الساكنة والمشددة والمنونة،فالأصوات الساكنة على العموم أقل وضوحا في السمع من أصوات المد ،أما الحروف المشدودة فهي تطور الأصوات من الرخاوة إلى الشدة أو العكس،وهذا يرجع إلى الحالة النفسية التي تكون عليها الشعب،والإدغام والتنوين يكونان في حالة الوقف متبوعان بسكون لأنها حركة قصيرة.[2]

-القافية:

عرف العروضيون القافية أنها الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل ألو ساكنين في آخر البيت الشعري،وقد تكون كلمة واحدة أو بعض كلمة ،والشاعر المبدع لا يخضع لضرورات

[1] ينظر المرجع السابق،ص177.
[2] ابراهيم أنيس"موسيقى الشعر"ص117.

الوزن والقافية،غير أن مبحث علم القافية ضروري وحركته فائدتها ضبط الإيقاع حتى نعرف النسق الذي رسم للشعر والانفعال الذي يتلاءم بين القافية وموضوع القصيدة.[1]

أما عن القافية وأهميتها التي تكتسبها من العمل الفني ،لتبرز جمال الموسيقى الشعرية ،لأنها تستند بانتهاء معنى معين،فهي شبيهة بقفل البيت ،ولا بد أن تستند على حرف تبنى القصيدة عليه وهو حرف الروي ،الذي يتكرر نهاية كل بيت ،وتسمى القصيدة كلها به،حيث أن للحرف إيحاؤه النفسي في نفس الشاعر الذي يأتي تكراره مثيرا لأحاسيسه ،ويبعث الروي الانفعال لمأساة الشاعر ،فهو إذن يضرب على وترين حزينين.[2]

لقد كانت القافية التي وظفها الشاعر جزء من الكلمة وهي:

كم كان فيها من كرام سادة بيض الوجوه شوامخ الإيمان

فالقافية هي "ماني"أتت متكررة حوالي ثماني مرات في القصيدة ،ومثلها قافية "واني"ةتكررت القافية "لاني"خمسة مرات،أما البقية تراوحت بين المرة والمرتين والثلاث،ونوعها متواترة مطلقة ورويها هو حرف النون،فتعرف القصيدة بنونية "ابن رشيق"ووصلها هو الياء،والنون هو حرف الشكوى والأنين والحنين للذكريات والماضي المجيد،وهذا ما نجده في قصيدة "ابن رشيق"وكذلك النون حرف غنة يذوب صوتها في الهواء ،فيموت مع حرف المد الذي يسبقها ،ولعل ذلك يضعف من صوتها ،بالإضافة إى غنيتها ،لأنها مكسورة وما قبلها وبعدها مد،وهذه القافية تعد جزءا من الكلمة ،إلا أنها تشكل في حدها كلمة،والقوافي التي تأدي معنى هي:

لان:ليونة وهشاشة كل ما هو مادي ومعنوي.

آن:الزمن الراهن وحاضر الشاعر.

عان:العناء والدمار والتعب الذي لحق بالمدينة وسكانها.

[1] أبو السعود سلامة"البنية الإيقاعية في الشعر العربي "دار العلم،ط1،2010،ص112.
[2] عبد اللطيف عيسى"شعر الرثاء في عصر الملوك"ص105.

أما "ابن شرف"فجاءت قافيته كلمة في كل أبياته منها:

بل اقول:الديار منهن أخلى

أتت قافيته متواترة مطلقة ورويها هو اللام والتي صارت تعرف بلامية "ابن شرف"غلا أن حرف اللام من الحروف الرقيقة شفافة تستخدم في اللين والتغزل لأنها سهلة ومذللة موصولة بحرف اللين وهو الألف،إلا أن اللم يبقى صوتا مجهورا يتوسط الشدة والرخاوة،ومع مجيئ القافية كلمة فوجدناها تحوي على أفعال وهي قليلة ومنها:أخلى حلا،تبلى،تتلى...أما الباقي أسماء وصفات.

الأسلوب:

يأتي أحمد أمين معبرا في هذا الصدد عن الأسلوب قائلا[1]:"الأسلوب هو طريقة تعبير الإنسان عن نفسه،والأسلوب الجيد هو الذي يحسن التوضيح كما يريد الإنسان...وليس كما نريد أن نعبر عنه في هذه الدرجة من الاعتماد على العقل ولا هذا التعبير أيضا فيه جمال وفن ،فهناك أشياء أخرى نحس بها في داخل أنفسنا ونريد أن نخرجه إلى العالم الخارجي عن طريق القول لتتصل بروحنا وعواطفنا وكياننا"

الملاحظ من القصيدتين أن الأسلوب المستعمل تنوع بين الجمل الخبرية والإنشائية ،التي تضفي على العاطفة قوة في المعنى،وهذه الأساليب المختلفة تتضح من خلال الجدول الآتي:

الأدوات	الاداة عند ابن رشيق	الأداة عند ابن شرف	الشرح
الشرط	إذا – إن	إذا	خبري شرطي وتأكيد وتفصيل
التوكيد	إن –النون	إن والنون	خبري تأكيد لمضمون الخبر

[1]أحمد أمين"النقد الأدبي"ص18.

			والجملة.
الاستفهام	كم والهمزة	هل	كم دلالة خبرية على إنشاء التعليل وأكثر والهمزة للتصور.
التعجب	/	مرة واحدة	
الأمر	مرة واحدة	/	طلب حصول الفعل
التحقيق	قد	قد	يدخل على الفعل الماضي.
التمني	لو	ليت -لو	طلب حصول الشيء على سبيل المحبة.

إن هذا التنوع في استخدام أنواع الكلام من الخبري واتي تكون في أصلها "كثبتة أو منفية أن يؤتى بها خالية من المؤكدات ،حين لا يكون حال المخاطب يستدعي تأكيد الخبر له"أما الجملة الإنشائية فهي"كلام يتحقق مدلوله عند النطق به...هو الإبداع والابتداء وكل من ابتدأ شيئا فقد أنشأه[1].

ومما سبق نرى غلبة الأسلوب الخبري عند كل من الشاعرين حيث بلغ عند ابن رشيق 19مرة وابن شرف 17مرة،بخلاف الخبر الذي لم يذكر فيه الأداة ،أما الأسلوب الإنشائي وذلك لغلبة الموضوعات التي تضع الشاعر في موقف المخبر عن حاله أو حال غيره ،إلا ان الانتقال من الاسلوبين الخبري والإنشائي كان ذا أثر فعال في تغذية الإيقاع البلاغي ،وذلك لأنه يخلق حركة متموجة ممتدة تضفي على النص حيوية ،ونشاطا ملحوظين".[2]

[1] عبد العزيز قليقلة"البلاغة الاصطلاحية"ص139.
[2] الطاهر أحمد مكي"دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ"ص222.

ولأن هدف الشاعرين الاول هو الإخبار عن مصاب مدينتهم القيروان وإيصال صوتهم الذي ينوب عن أصوات الشعب إلى المتلقي العربي ،جاء الخبر طاغيا على الإنشاء ،إذ قام"ابن رشيق"وأخبرنا عن حال مدينته وعن ماضيها المجيد الذي كان تحت قبضة الإسلام والمسلمين ،ليواصل إخبارنا عن فعل القدر والأيام بها وبنسائها ،فأخبرنا عن دمار المسجد،وعن حزن الطبيعة والبلدان العربية والإسلامية،ليخبر عن هول الكارثة وإرجاع كل هذا من جديد إلى القدر.

أما "ابن شرف"فكان مثل "ابن رشيق"إلا أنه أخبرنا عن مدى حزنه ،وشجونه لمدينته،ليخابرنا بعدها عن تحول الديار إلى القبور ،ليواصل إخبارنا عن واقع حال شعبه المزدري تحت قبضة الغزاة،فصور لنا مشاهد الذل والهوان في مدينتهم والمدن التي تم جلاءهم إليها.[1]

الموازنة:

انطلاقا من الدراسة الفنية التي أجريناها على القصيدتين اللتين تحملان قضية الرثاء بمعنى رثاء القيروان لكل من "ابن رشيق "و "ابن شرف"،ومن خلال اعتمادنا على بعض النقاط التي ساعدتنا على تحليل القصيدتين ،وذلك بدراسة الصورة الفنية بوسائلها كالتشبيه والإستعارة ،ثم الاعتماد على دراسة الموسيقى بنوعيها الداخلية والخارجية ،إلى أن وصلنا إلى دراسة الأسلوب الذي تم تناوله واعتماده من خلال الشاعرين،أمكننا التوصل إلى بعض النتائج والنقاط التي تساعدنا على عقد موازنة بين الشاعرين من حيث الآليات الفنية التي استغلها كل واحد منهما في قصيدته ،وجئنا بها ملخصة في أوجه تشابه واختلاف والتي رصدناها كما يلي:

*أوجه التشابه:

لقد استغل الشاعران وسائل التصوير والتي تعد جزءا من فنون البلاغةنوالتي تعمل على إيصال فكرة الشاعر وعواطفه ،وإضفاء الجمال على نصه،لأن باستطاعة النفوس أن

[1]ابتسام حمدان"الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي"ط1،1992،ص217.

تحس به وتتذوقه متى أدركته ،وتأنس به وترتاح إليه،ومن خلال تمكن الشاعر من"وسائل الفنون الأدبية التي نبه عليها أدباء العرب،وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية ،ليست إلا بحوثا وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام،ومحاولات لتحديد معالمها ووضع بعض القواعد"[21]

حيث أن لكل وسيلة بلاغية جمالها الذي تتميز به،وتنفرد عنه لما يقابلها من الوسائل الأخرى ،فالتشبيه مثلا فن جميل من فنون القول ،وهو يدل على دقة ملاحظة الأشباه ،والنظائر في الأشباه،كي تتقرب الصورة إلى ذهن القارئ والإمتاع بصورة جمالية.

وللإقناع بالفكرة وإقامة الحجة البرهانية وشحن المتلقي وتحريك طاقته الفكرية والشعورية وامتحان ذكائه.[3]

فكانت جمل التشبيه عند"ابن رشيق"لما شبه الامور والمسائل عندما يستعصى حلها بالباب الذي أحكم أقفاله أوضاع مفتاحه ،وشبه فضل العلماء على القيروان وفضل القيروان على المدن المجاورة عليها مثل فضل الشمس على الأرض ،ليعبر عن مصاب القيروان بعد كل هذا وما لحقها من فتن سوداء كسواد الليل ،وكان حسد للمدينة من طرف الناطح المعيان ،ثم نجده يشبه المرأة الجميلة بجمال عيني البقرة ومثل اكتمال القمر.

أما "ابن شرف "فجمالية تصوير تشبيهه تكمن عندما شبه لوعة وشدة حزنه بنار جهنم،وما لحق بمدينته التي صارت ديارها قبورا،إلى أن عبر عن هذا الوضع وما يحتويه من ضجيج وحشر الخلق لبعضهم من شدة الخوف مثل الحشر والضجيج الذي يكون يوم الحساب،وأعطى كامل المسؤولية في تفريق الأهالي كما يتفرق السهم عن نبله،ليشبه المرأة القيروانية بالشمس في الحسن والبهاء.[4]

[1]عبد الرحمن الميراني"البلاغة العربية أسسها"ص178.
[2]ينظر المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[3]عبد العزيز قليقلة"البلاغة الاصطلاحية"ص142.
[4]عبد المالك مرتاض"دراسة سيميائية"ص69.

وهناك تشابه كذلك في الموسيقى ،التي كانت تطرب النفس الإنسانية ،فترتاح لموازينها الحلوة،فكان للشعر تأثير حلو على هذه النفس الإنسانية.

فكانت الموسيقى حاضرة بنوعيها الداخلية والخارجية ،أما الداخلية فالتشابه الموجود بينهما هو أنهما استعانا بالبديع من جناس وطباق وتكرار للأصوات كل حسب دلالته،وقد استغلا الحروف المجهورة أكثر من المهموسة حوالي سبعين بالمئة.

أما عن الموسيقى الخارجية فقد إختار كل منهما القصيدة التي تنتمي إلى البنية الشعرية القديمة من حيث الشكل ،فهي عمودية وإيقاعها يعرى إلى إيقاع الخليل ،غير أنها تتميز عنها ببنيتها القهرية،حيث يسقط النص في اليأس والحزن وجنوحه إلى الاستسلام لحكم التاريخ الرتيب.[1]

كما جاءت القافية نفسها وهي:/0/0والتي تسمى ب المتواترة المطلقة الضارخة ،لطلاقة صوت الصارخ للنفس المتكلمة والمتلقية.

أما الحديث عن الأسلوب فيلجأ كل شاعر إلى استعمال أسلوب خاص به ،ولا يتحقق هذا الأسلوب إلى بالكلام لأنه هو الذي يفصح عما في الفر والمشاعر والأحاسيس بألفاظ دالة على ما يريد كل شاعر الوصول إليه ،لأن الكلمات رموز اصطلاحية ،في الاوضاع اللغوية الأولى ،القائمة بعدها على التطور والتوسع في دلالة الألفاظ،فكانت الألفاظ المستعملة عندهما تخص كل ماله علاقة بالإنسان والطبيعة نوالحاضر،والماضي ،وما يخص الغزاة ،وكذلك المرأة.[2]

أما فيما يخص الاختلاف بين الشاعرين يمكن رصده من خلال النقاط التالية:

*وظف الشاعران "ابن رشيق"و"ابن شرف"وسائل التصوير،لكن كل واحد حسب المعنى الذي يريد الوصول إليه والذي يريد للقارئ أن يفهمه ،حيث كانت صور "ابن شرف"تحمل دلالات سلبية في معظمها،إلا أن "ابن رشيق"كانت الدلالة إيجابية الماضي وسلبية الحاضر.

[1] عبد الرحمن الميراني"البلاغة الاصطلاحية"ص120.
[2] ينظر المرجع السابق'ص70.

*وظف "ابن شرف"الجناس والطباق أكثر من "ابن رشيق"نظرا أن قصيدة "ابن شرف"أقل أبياتا من صاحبه ،حيث نوع"ابن شرف"في جناسه مستعملا التام والناقص ،أما "ابن رشيق"استعمل الجناس الناقص فقط.

*الحروف التي تكررت عند "ابن رشيق"التاء السين والهاء أما "ابن شرف"الهاء التاء الفاء الحاء أما الحرف الذي تكرر بشدة في قصيدة :ابن شرف"هو اللام.[1]

*هناك اختلاف في البحور بين القصيدتين فالبحر الكامل عند"ابن رشيق"حيث إنه نوع بين الزحافات والعلل أما "ابن شرف"استعمل البحر الخفيف وأدخل عليه بعض الزحافات.

*كانت القافية عند "ابن رشيق"عبارة عن جزء من الكلمة ورويها النون ووصلها هو الياء،أما "ابن شرف"فقافيته كانت كلمة متنوعة بين الفعل والصفات،ورويها هو اللام اما الوصل فهو الألف.

[1]عثمان الوافي"في نظرية الأدب ،قضايا الشعر والنثر في النقد العربي"ص41.

المنحق

1*ابن شرف القيرواني:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي ولد 390ه/وتوفي 460ه،ينتمي إلى أسرة ذات أصول عربية،هاجرت إلى المغرب في طالعة الفتح العربي وسكنت مدينة القيروان في الشمال الإفريقي .

ولد ابن شرف القيرواني في مدينة القيروان ..رافلة بالعلوم ،حافلة بالفنون،زاخرة بالعديد من العلماء والأدباء المبرزين لإتلقى العلم والأدب عنهم،حتى نبغ وأجاد،وأصبح من شعراء الدولة الصنهاجية المقربين ،ونديما لأميرها بن باديس [1]،يعد ابن شرف من ألمع شعراء القيروان،وأنشطتهم شعرا وشاعرية في القرن الخامس هجري وقد أعجب المتقدمون به،وبقدرته الفنية على نظم الشعر وإنشاده ،شهد له بذلك منافسه ابن رشيق ...بل اعترف بما كان يتمتع به ابن شرف من موهبة وإبداع في مجال الأدب وبخاصة الجانب الشعري منه وكشف عما يمتلك من قدرة فنية.

غير أن الغالب في أشعاره بكاء القيروان ،ورثاؤها ،والحنين لأيامها الخوالي ،التي لم تفارق صورتها مخيلته ،ولم ينسها طوال فترة غيابه عنها واغترابه ،فنال ذلك أكبر قدر من اهتمامه وضمنه ما احتمل داخله،وجاشت به نفسه من أحاسيس ومشاعر.[2]

ام عن العلاقة التي كانت تجمعه بابن رشيق ،فجاءت الروايات مختلفة عنها ،فمنهم من ذهب إلى انها كانت متوترة مدة من الزمن،ثم تحولت إلى معاداة ومهاجاة،ومنهم من أنكر ذلك،ورأى في الأمر مجرد دعابة وممازحة .كان الشاعران مفضلين عند المعز على سائر من في حضرته من الأفاضل ،فكان يقرب هذا تارة ويدني ذلك تارة أخرى ،فتنافسا وتنافرا تارة أخرى[3]،وهدأت عواصف العداء على أثر ما أصيبت به القيروان ،وحل بها من كارثة مروعة.

2*حياة ابن رشيق القيرواني:

[1]ديوان ابن شرف القيرواني،ص23.
[2]ينظر المرجع نفسه،ص24.
[3]حنا الفاخوري"تاريخ الأدب العربي في المغرب"ص122.

هو أبو حسن بن علي بن رشيق الأزدي القيرواني ولد 390ه بالمسيلة وتسمى المحمدية فكان ينسب إليهما بمعنى يعرف بالمسيلي والمحمدي وكان أبوه على أرجح الروايات روميا من موالي الأزد،فنسب إليهم ،وقرأ ابن رشيق القرآن والشعر بعض علوم عصره في مدارس وكتاتيب المحمدية وتعلم الصياغة....فجاء بشعر ونقد فيه ألق الذهب وبريقه .[1]

وبعد ذلك ارتحل إلى القيروان ،وكان أبوه علي ربوة لا يبلغها الماء وغاية لا ينالها الشد والإرخاء واقتجاره على النثر والنظم ،اقتدار الوتر على السهم ،إن نظم طاف واستلم أو نثر هلل العلم وكبر.[2]

ذكر "حنا الفاخوري"في كتابه بعض الصفات الخلقية له "كان مغمور النسب والحسب ،يميل إلى التلقي وراء العظماء والأقوياء ،طلبا للعظمة والقوة،وطلبا للمال،إنه ضعيف النفس،شديد الطمع في غير طموح ،وهو يبتعد عن الحوارات السياسية والخصومات السلطاني،ولايطيق المغامرات وركوب الأخطار.[3]

عاش كل من "ابن رشيق"و"ابن شرف"في العهد الصنهاجي الذي يمد من 321ه إلى 560ه ،وقد انشطرت الإمارة الصنهاجية منذ مطلع القرن الحادي عشر،أي حوالي 405ه غلى شطرين ،إمارة "ابن باديس بن منصور"وقاعدتها بالقيروان ،وإمارة "ابن عمه حماد"الذي اختار الجزائر مقرا له[4]،فبنى مدينة أسماها قلعة حماد بالقرب من قسنطينة واتخذها قاعدة لإمارته ،وعندما توفي باديس سنة406ه ،خلفه ابنه معز حتى كبر ،وعندما استلم زمام الأمور صالح أعمامه بني حماد فانتشر السلام والأمن في البلاد وازدهر العمران،حيث كانت العلوم والفنون قد تطورت في المغرب تطورا كبيرا ،وتركزت معظم الأنشطة الاجتماعية والعلمية والأدبية في مدينة القيروان حيث كثرت الدواوين والمساجد

[1]ديوان ابن رشيق القيرواني،ص12.
[2]أبو الحسن علي"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"مج1،تح:إحسان عباس،دار الثقافة،لبنان،ط1،1979، ص597.
[3]حنا الفاخوري"تاريخ الأدب العربي في المغرب"ص238.
[4]ديوان ابن رشيق القيرواني،ص48.

وحلقات العلم والأدب ـوأدى التنافس والتزاحم بين الأدباء والشعراء إلى حركة فكرية وأدبية ،وأصبحت القيروان كعبة العلم التي يحج إليه العلماء من جميع أصقاع المغرب وحتى الأندلس[1].

قصيدة ابن شرف:

آه للقَيْـــرَوان إنَه شَجـْـــو منْ فؤاد بجماجم الحزْن يصلى
حين عادت بها الديار قبـــورا بل أقول الديار منهن أحلـــــى
ثم لا شمعة سوى أنجم تخطوا على أفقها النواعس كســـــلى
والوجوه الحسان أشـــرف من هن وبفضلهن معنى وشكـــــلا
ولهم هنالك زحمة تحـــــكي زحمة الحشر والصحائف تتـــلى
وعجيج وضجة كضـــجيج ال خلق يبكون والسرائر تبلـــــى
من أيامى ورائهن يتـــــامى ملئوا حسرة وشـــجوا وثكـــلا
وحصان كأنما الشمس حسنـــا كتفتها الأطمار نجـــــلاء كحلى
فات كرسيها الجلاء فأضحـت في ثياب الجلاء للناس تجـــلى
جار فيهم زمانهم وأولوا الأمر ففزوا يرجون في الأرض عـدلا

قصيدة ابن رشيق:

كم كان فيها من كرام ســـــادة بيض الوجوه شوامخ الإيمـان
متعاونين على الديانة والتـــقى لله في الإسرار والإعـــــلان
وأئمة جمعوا العلوم وهذبـــــوا سنن الحديث ومــشكل القرآن
علماء إن ساءلتهم كشفوا العمــى بفقاهة وفصـــاحة وبيـــان
وإذا الامور استبهمت واستغلقت أبوابها وتنازع الخصـــــمان
هجروا المضاجع قانتين لربهـــم طلبا لخير معـــرس ومغـــان

[1]ديوان ابن رشيق القيرواني،ص50.

في جنة الفردوس أكرم منـــزل بين الحسان الحور والغلمـــان

تجروا بها الفردوس من أرباحهم نعم النجارة طاعة الرحمـــن

المتقين الله حـــق تقاتـــــــه والعارفين مكابد الشيطـــــان

خافوا الإله فخافهم كـــل الورى حتى ضراء الأسد في الغيـــلان

تنسيك هيبتهم شمـــاخة كل ذي ملك وهيبة كل ذي سلطـــــان

كانت تعد القيـــــروان بهم إذا عد المنابر زهرة البلـــــدان

حسنت فلما تكامل حسنـــــــها وسما إليها كـــل طـــرف ران

نظرت لها الأيام نظرة كـــاشح ترنوا بنظرة كاشـــــح معيان

حتى إذا الأقدار حم وقوعـــها ودنا القضاء لمـــــــدة وأوان

فاستحسنوا غدر الجـــوار وآثروا سبي الحريم وكشفة النســـوان

ما بين مضطر وبين معـــــذب ومقتل ظلما وآخر عـــــان

وأرى النجوم طلعن غيـــر زواهر في أفقهن وأظلم القمـــــران

وأرى الجبال الشم أمست خشعـــا لمصابها وتزعزع الثقـــــلان

والأرض من ولع بها قد أصبحـت بعد القرار شديدة الميـــــلان

من بعد ما سلبت نضائر حسنـــها الأيام واختلفت بها فئتـــــان

أمست وقد لعب الزمان بأهلـــها وتقطعت بهم عرا الأقـــــران[1]

[1]ديوان ابن رشيق القيرواني،ص189

خاتـــمة

أشرفت على نهاية عملي هذا ويطيب لي أن أبين خاتمة ما توصلت إليه في هذه الدراسة وإن كانت الأعمال بخواتمها ،فما ستقدمه هذه الخاتمة هي خلاصة جهد مثابر وسعي صادق تمثل جملة من الاستنتاجات وهي على النحو الآتي:

*إن من أهم من رثا مدينة القيروان نجد "ابن رشيق" و"ابن شرف"وقد حاولت التعريف بفن الرثاء المدن وتجلياته في قصيدتي كل من ابن شرف وابن رشيق.

*ثم استنتاج الأدوات الفنية والجمالية التي تنالها كل من الشاعرين في قصيدتهما.

*بعد قراءة القصيدتين الملاحظ أن مدينة القيروان شهدت نوع من الدمار والخراب والحزن،فتحركت قلوب وأقلام الشعراء وجسدوها من خلال أشعارهم.

*دخلت مدينة القيروان التاريخ الأدبي وذلك كله بفضل تجسيد معاناتها من طرف المغاربة ،والنقل المباشر للأحداث.

*الملفت للانتباه بروز الطباق والجناس في القصيدتين،للفت النظر وشد آذان وأذهان المتلقي ،وشده بموسيقاه الصوتية .

*تنوعت القصيدتين بين البحور فكل قصيدة وبنيت على بحر يختلف عن بحر القصيدة الثانية.

يمكن القول أن بحثنا هذا ما هو إلا مجرد محاولة بسيطة كان هدفها التعريف بفن رثاء المدن ومدينة القيروان،أهم القضايا المتناولة منها الحزن والغربة والفقد والموت والموازنة بين ابن رشيق وابن شرف ، أرجو أن أكون قد وفقت في بلوغ ما سعينا من غاية و الله موفق.

و في الأخير لا نزيد عما قاله عماد الأصفهاني(رأيت أنه لا يكتب إنسانا كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن و لو زيد كدا لكان يستحسن و لو قدم هذا لكان أفضل و لو ترك هذا لكان أجمل و هذا من أعظم العبر و هو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).

و يقول توفيق الحكيم في كتابه ∞فن الأدب∞ص12 {ليس الإبتكار أن تطرق موضوعا لم يسبقك إليه سابق و لا أن تعثر على فكرة لم تخطر على بال غير تتناول الفكرة التي قد تكون مألوفة للناس فتسكب فيها من تحليلك و تأملاتك و تفكيرك ما يجعلها تنقلب خلقا جديدا يبهر العين و يدهش العقل ...أو أن تعالج الموضوع الذي يكاد يبلى بين أصابع السابقين فإذا هو يضيء بين يديك بروح من عندك ...} .

وهذا ما توصلنا إليه في ظل ما سبق ’من هذا البحث المتواضع.

قائمة المصادر و المراجع

***المعاجم:**

-ابن احمد الفراهيدي"معجم العين"ج2تح:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،

-ابن منظور الإفريقي"لسان العرب"مج3،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1،1997.

-بطرس البستاني"محيط المحيط"مكتبة لبنان ،بيروت،ط1،1998.لبنان،ط1،2003.

-مجموعة من الباحثين"المعجم الوسيط"مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط4،2004.

***أ/المصادر:**

-حسن بن سهل العسكري"الصناعتين"تح:محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم،منشورات المكتبة العصرية،بيروت،د.ط

-ديوان ابن رشيق القيرواني ،شرح صلاح الدين الهواوي وآخرون،دارالجيل،بيروت،ط1، 1996.

-ديوان ابن شرف القيرواني تح:حسن ذكرى،دار المكتبة الأزهرية،القاهرة،د.ط،د.ت.

***ب/المراجع:**

-ابتسام حمدان"الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي"ط1،1992.

-ابراهيم أنيس"موسيقى الشعر"مكتبة أنجلو المصرية،ط2،1952.

-ابراهيم أنيس"الأصوات اللغوية"القاهرة،مكتبة أنجلو المصرية،د.ط،2013.

-ابراهيم عبد الرحمن"الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية"المصرية العالمية،ط1،

-أبو السعود سلامة"البنية الإيقاعية في الشعر العربي"دار العلم،ط1،2010.

-أحمد أمين"النقد الأدبي"دار الكتاب العربي،بيروت لبنان،1967.

-الطاهر أحمد المكي"دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة"دار النشر والتوزيع.

-العربي دحو"الأدب العربي القديم في المغرب العربي"دار الكتاب العربي،الجزائر،2007.

-جاك شارون "الموت في الفكر المغربي"تر:كامل يوسف حسين ،سلسلة عالم المعرفة، الجزائر،د.ط،1994.

-خالد جبرور ورزان إبراهيم"شعرية النقد جدل الحياة والموت في شعر الخنساء"دار جرير،عمان،الأردن،ط1،2012.

-سعيد بوقلالة "دراسات في أدب المغرب العربي"منشورات بونا،الجزائر،ط1،2007.

-صلاح الجزار"قراءات في الشعر الأندلسي"دار المسيرة ،الأردن،ط1،2007.

ط1،1996.

-عبد الرحمن الحسن الميراني"البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"ج2،دار النشر،جدة،

-عبد العزيز النبوي"محاضرات في الشعر المغربي القديم"د.ط،د.ت.

-عبد القادر هني"مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي قبل سقوط قرطبة "دار الأمل ،تيزي وزو،الجزائر،د.ت.

-عبد اللطيف عيسى"شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس"دار غيداء،ط1، 2013.

-عبد المالك مرتاض"دراسة سيميائية تفكيكية "ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائرية،د.ط، 1992.

-عبده عبد العزيز"البلاغة الاصطلاحية"دار الفكر العربي ،القاهرة،ط3،1992.

-عثمان الوافي "في نظرية الأدب قضايا الشعر والنثر في النقد"د.ط،د.ت.

-عزوز زرقان"شعر الاستصراخ في الأندلس"دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،2008.

-عمار الضمور"كتاب المراثي دراسة نقدية لقصائد الشاعر"دار الكتاب للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن ط1،2006.

-عمر بن قنينة"أدب المغرب العربي قديما "ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون، الجزائر،د.ط،2000.

-عهود عبد الواحد"الصورة الشعرية عند ذي الرمة"دار الصفاء،عمان،الأردن،ط1،2010.

-عيسى ابراهيم السعدي"نظرية أبي عثمان بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي"دار المعتز،د.ط

-غالي شكري"صراع الأجيال في الأدب"دار المعارف،مصر،د.ط،1982.

-قادة دقاق"دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر"منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق،د.ط،2001.

-محمد زغلول سلام"تاريخ النقد الأدبي والبلاغة"دار النشر للمعرفة،مصر،ط3،1964.

-محمد زكي العشماوي"دراسات في النقد الأدبي المعاصر "دار المعرفة الجامعية ،القاهرة،

-محمد غنيمي هلال"النقد الأدبي الحديث"نهضة مصرللطباعة،القاهرة،2004.

-محمد مرتاض"النقد الأدبي القديم في المغرب"دمشق،2000.

-محمود عويد الطريكي"المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي"

-مصطفى الشاذلي"ظاهرة الإغتراب"مطبعة آنفوبرانت ،فاس ط1،2009.

-مصطفى محمود"لغز الموت "دار المعارف ،القاهرة،مصر،د.ط،د.ت.

-ناظم عودة"جماليات الصورة من الميثولوجيا إلى الحداثة"دار التنوير،بيروت،لبنان،ط1،

-يحي الجبوري"الحنين والغربية في الشعر العربي "دار مجدلاوي،إربد،الاردن،2008.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضـــــوعات:

-إهداء.

تشكرات

-مقدمة.....أ-ب

-مدخل"مفاهيم عامة":

-مفهوم الرثاء.....ص05

-الفصل الأول:تجليات الرثاء في قصائد ابن رشيق وابن شرف.

-الحزن.....ص12.

-الغربة والشوق ص13

-الفقد.....ص20.

-الموت.....ص22.

-الموازنة.....ص23

الفصل الثاني:دراسة قصيدتي ابن شرف وابن رشيق

-الوحدة الشعرية.....ص29.

-الموسيقى.....ص31.

-الأسلوب.....ص40

-الموازنة بينهما.....ص41

-الملحق.....ص46.

فهرس الموضـــــوعات:

-التعريف بالشاعرين.....ص46

-قصيدة ابن شرف.....ص47

-قصيدة ابن رشيق.....ص49

-خاتمة ص50

-قائمة المصادر و المراجع.....ص54

-فهرس.....ص59

ملخص المذكرة:

إن الحديث عن الأدب و عن الحياة الثقافية في بلاد العرب ليس بالأمر الهين’لا لأنه أصل فيه و لا منبع له فالأدب المغاربي جزء لا يتجزأ عن الأدب العربي ’فهو بالتالي يمتاز بمميزات و خصائص و لو بشيء قليل ’تميزه عن الآداب الأخرى عامة و عن الأدب العربي خاصة

الكلمات المفتاحية:فن الرثاء-رثاء مدينة القيروان-ابن رشيق –ابن شرف